الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي لميلة

معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: .....

ملامح التداولية في صحيفة بشر بن المعتمر

مذكرة معدة استكمالا لمتطلبات نيل شهادة الماستر

الشعبة: الأدب العربي

التخصص: أدب عربي قديم

إعداد الطالبة:
*نجار آمنة.

إشراف الأستاذ:
*سطوف عزوز.

السنة الجامعية: **2014/2013**

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي لميلة

معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: .....

ملامح التداولية في صحيفة بشر بن المعتمر

مذكرة معدة استكمالا لمتطلبات نيل شهادة الماستر

الشعبة: الأدب العربي

التخصص: أدب عربي قديم

إعداد الطالبة:
*نجار آمنة.

إشراف الأستاذ:
*سطوف عزوز.

السنة الجامعية: **2014/2013**

اهــداء

إلى كل من سار على خطى معلم البشرية محمد صلى الله عليه وسلم وساهم في الحفاظ على سنته.

إلى المنبع الصافي المتدفق بالحنان، إلى التي آنستني صحبتها وضللتني مودتها، وآزرتني قوتها، إلى أمي الحبيبة "دليلة" حفضك الله ورعاك.

إلى الذي جسد روح الأبوة بامتياز وغمرني في محيط فضله وساندي في حياتي إلى أبي العزيز "عبد الكريم" أدامك الله خير عون لنا.

إلى أجزاء من روحي أختي واخوتي: "مريم" "أحمد" "محمد علي" .

إلى أحبتي بلا استثناء... مادامت الحياة صفحات دربها الوفاء والإخلاص.

إلى كل طالب للعلم

آمـــنة

شكر وعرفان

أتقدم بأحر شكر واسمى تقدير إلى الأستاذ الكريم ، الذي وقف إلى جانبي وساندني وكان خير عون لي، وكان منبعا للعلم والمعرفة والبحث.

الأستاذ: * سطوف عزوز*

كما أتقدم بالشكر لأعضاء لجنة المناقشة على أمانتهم وطول صبرهم وتحملهم عناء قراءة هذا البحث.

ولا أنسى جميع الأساتذة الذين ساعدوني بتوجيهاتهم ونصائحهم القيمة.

بسم الله الرحمن
الرحيم

مقدمة

مقـــدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على حبيبه ومصطفاه إمام الدعاة، واسوة المعلمين الهداة، ورحمة الله المهداة، سيدنا محمد وعلى آله الأطهار، وصحبه الأخيار، والتابعين الأبرار، ومن تبع هداه وسار على نهجه المبين وصراطه المستقيم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

يعتبر الأدب العربي من بين أهم الآداب ثراءً وغنى من حيث الموروث الثقافيوالنقدي، هذا ما يجعل الباحث الذييريد اكتشاف قيمة هذا التراث يقف حائرا أمام هذا الزخم المعرفي.

وفي خضم هذه المعطيات ارتأينا أن نختار مدونة خاصة لبحثنا تمثلت في "صحيفة بشر بن المعتمر"، والتي أوردها الجاحظ في متن كتاب: "البيان والتبيين"، حيث استعرض من خلاله "بشر بن المعتمر" آلات الكتابة وأصول البلاغة.

وانطلاقا من هذه الصحيفة أردنا التعريف بشكل جديد من الدراسات اللغوية، وكيفية تعاملها مع النصوص الأدبية، وهذه الدراساتتتمثل في التداولية بمقاربتيها؛ القصدية والكفاءة، والتي تشكل نظرة جديدة في ظاهرة التواصل البشري؛ومن هنا استقامت لنا فكرة هذا البحث والمتمثلة في: " ملامح التداولية في صحيفة بشر بن المعتمر".

وهذه المقاربات التداولية تسعى إلى دراسة اللغة في الاستعمال، كما تهدف إلى دراسة الخطاب وتكشف عن طبيعة العلاقة بين اللغة والسياق.

ومن أجل الإحاطة بجوانب هذا البحث، والوصول إلى الإجابة عن التساؤلات التي دفعتناإلى اختيار هذا الموضوع التي من بينها: ماهي الأسباب التي أدت إلى ظهور هذه المرحلةالتي شكلت منعرجا جديدا في تاريخ اللسانيات؟

وأساس هذه الإشكالياتتمثلت في: كيف ألمح بشر ابن المعتمر لهذه المقاربات في صحيفته وخاصة القصدية والكفاءة التداولية؟.

وإلى أي مدى تمكن 'بشر' من إبراز دور المتخاطبين في العملية الإبلاغية، وقدرتهم على التواصل اللغوي؟.

وما دفعنا إلى القيام بهذه الدراسة النقدية هو محاولة الكشف عن القيمة البلاغية التي تضمنتها صحيفة بشر ابن المعتمر، لما لها من أهمية بالغة أفادت العلماء والدارسين في ذلك الوقت، ولا تزال تزخر بمعارف قيّمة تفيد كل طالب علمٍ.

والذي لا يمكننا تجاهله هو جملة تلك الدراسات التي تطرقت للبحث حول هذه الصحيفة النقدية التي كانت في عمومها دراسات تحليلية طبقت عليها آليات بعض المناهج السياقية والنصانية .

وهذه الاهتمامات حاولنا إبرازها من خلال ما وصل اليه 'بشر ابن المعتمر' في صحيفته النقدية، مع تبيان مدى تأثيرها في الخطاب أثناء عمليتي التواصل والابلاغ؛واعتمدنا في ذلك على الآلية الاستقرائية المقارنة، بالإضافة إلى العودة إلى المناهج السياقية كالمنهج التاريخي من أجل تتبع سيرورة نشأة اللسانيات التداولية.

وقد وضعنا خطة تمكننا من التحكم في موضوع البحث وتساعد على تحقيق الأهداف المرجوة منه؛ حيث قسمنا البحث كالآتي:

مقدمة البحث تطرقنا فيها إلى الموضوع، أسبابه و دوافع اختياره، والمنهج المتبع والدراسات السابقة، الصعوبات والعوائق، وأهم المراجع المعتمدة.

أتبعناها بفصلين: أولهما يضم ثلاث مباحث جاءت على النحو الآتي:

فصل أول موسوم بمفهوم اللسانيات التداولية، نشأتها و تطورها، وهو دراسة نظرية حاولنا من خلالها التعريف باللسانيات التداولية في الدرسين الغربي والعربي.

و أتبعناه بمبحث ثان تناول نشأة اللسانيات والتداولية في منظومة البحث التداولي الغربي،و تطورها في الفكر العربي.

و في المبحث الأخير تطرقنا إلى أهم المفاهيم التي شكلت هذا الاتجاه اللساني منها: الكفاءة التداولية،والقصدية التداولية.

ثم باشرنا الدراسة النقدية في الفصل الثاني المعنون بـ: ملامح التداولية في صحيفة 'بشر ابن المعتمر'؛ حيث استُهل هذا الفصل بمدخل تضمن لمحة عامة حول صحيفة 'بشر بن المعتمر' متبوعا بما تحتويه البلاغة العربية من أشكال تداولية تلا هذا المدخل مبحثين: أولٌ:خصصناهلدراسة ملامح القصدية التداولية من جانب المخاطب والسياق في صحيفة 'بشر'، والثاني يتعلق بملامح الكفاءة التداولية ببعديها اللغوي والمقامي.

وفي الأخير ختمنا هذا البحث بخاتمة ضمت أهم النتائج والملاحظات التي توصلنا إليها.

وقد اقتضى البحث العودة إلى جملة من المصادر والمراجع، من أهمها: كتاب البيان والتبيين للجاحظ، وكتاب استراتيجيات الخطاب لظافر الشهري، بالإضافة إلى كتاب خليفة بوجادي في اللسانيات التداولية (مع محاولة تأصيلية للدرس العربي القديم)، كتب أحمد المتوكل؛ منها الوظائف التداولية في اللغة العربية، كتاب بلاغة الخطاب وعلم النص لصلاح فضل، مع مراجع أخرى لا يتسع المقام لذكرها والتي ساعدتنا في الإجابة على اشكاليات كثيرة واجهتنا في البحث. ومن الصعوبات التي واجهتنا في اتمام هذا البحث ضيق الوقت وقلة الدراسات النقدية في مجال اللسانيات التداولية بالإضافة إلى تشابك عناصرالموضوع.

وحسبنا أننا خضنا هذه التجربة بجد وصبر وصدق، فإن أخطأنا فمنّا، وإن أصبنا فبتوفيق من الله ولا ننسى أن نتقدم بالشكر والامتنان إلى الأستاذ المشرف: الأستاذ 'عزوز سطوف' الذي لم يبخل علينا بمساعدته وتوجيهاته القيمة.

ولا ننسى أنتقدم بالشكر إلى أعضاء لجنة المناقشة على طول صبرهم وتحملهم عناء قراءة هذا البحث.

في الأخير نرجو من الله ـ عز وجل ـ أن نكون قد وفقنا فيما نسعى إليه من خلال هذا البحث.

الفـصل الأول:

التـــداولية المفهوم النشأة والتطور

الفصل الأول: التداولية المفهوم النشأة والتطور.

المبحث الأول: تــعريف التداولية.

1- المفهوم اللـــــغوي.

2- المفهوم الاصطلاحي.

المبحث الثاني: روافد اللسانيات التداولية.

1- نشأة اللسانيات التــداولية.

2- التداولية في الفكر الغربي.

3- التداولية في الفكر العربي.

المبحث الثالث: الـــوظائف التـــداولية.

1- الأفــعال الكلامية.

2- الحجاج.

3- الكفــاءة التداولية.

4- القصدية التداولية.

المبحث الأول: تعريف التداولية

يعد مفهوم التداولية من أهم المفاهيم التي شدت انتباه الدارسين الباحثين لاسيما في العقود الثلاثة الأخيرة.

حيثاختلفت الآراء حول تحديد مفهوم لمصطلح التداولية بسبب اختلاف المذاهب ووجهات النظر، ولسعة مجالها في المنظومة الفكرية الحديثة، كان من الصعب الإلمام بتعريف شامل ودقيق لمصطلح التداولية.

1-المفهوم اللغوي للتداولية "Pragmatique"

أ- عند الغــرب:

إن مصطلح التداولية هو ترجمة للمصطلح الغربي pragmatiqueحيث:يرجع أصل هذه الكلمة pragmatique إلى الكلمة اللاتينيةpragmaومعناه:الفعل (action)»[1].

ب- عند العــرب:

لقد أجمعت جل المعاجم العربية على أن الجذر اللغوي لمصطلح التداولية هو الفعل الثلاثي (دول) فقد وردت مثلا في مقاييس اللغة على« أصلين: أحدهما يدل على تحول الشيء من مكان إلى آخر، والآخر يدل على ضعف واسترخاء، فقال أهل اللغة: إندال القوم إذا تحولوا من مكان إلى مكان، و من هذا الباب تداول القوم الشيء إذا صار من بعضهم إلى بعض،والدولة والدول لغتان. ويقال بل الدولة في المال والدولة في الحرب والدولةوالدول لغتان، و يقال بل الدولة في المال والدولة في الحرب، وإنما سميا بذلك من قياس الباب، لأنه أمر يتداولونه فيتحول من ذاك إلى هذا»[2]. ولفظة التداولية في هذا المفهوم جاءت بمعنى التحول من مكان إلى مكان والتناقل بعد أن كان في موضع و صار في موضع آخر.

- 1قاموس أكسفورد الحديث(انجليزي/عربي) university presse، 1980، ص577.

2-ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح.عبد السلام هارون، دار الجيل،ط 1، 1991م،ص314.

كما جاء هذا اللفظ في أساس البلاغة: "دالت له الدولة، ودالت الأيام بكذاوأدال الله بني فلان من عدوهم: جعل الكثرة لهم عليه، والله يداول الأيام بين الناس مرة لهم ومرة عليهم، و يقال الدهر دول و عقب ونوبٌ، و تداولوا الشيء بينهم، أي مرة لهذا و مرة لذاك، و الماشي يداول بين قدميه أي يراوح بينهما"[1].

وقد وردت في القاموس المحيط: "وتداولوه أي أخذوه بالدّول"[2]،أي نوبا متناوبين مرة لهذاو مرت لذاك.

أما في معجم النفائس الوسيط: "أدال الشيء إدالة جعله متداولا، وأدال الله بني فلان من عدوهم: نصرهم و غلبهم عليه"[3].

ومجموع هذه المعاني تدور حول:

- تناوب و تعاقب القوم على الأمر.
- الانتقال: كانتقال المال و الملك من قوم إلى قوم.
- التحول: من حال إلى حال، أو من مكان إلى مكان.

ومن شواهد استخدام مصطلح التداولية في القرآن الكريم:قوله تعالى:﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[4].

وقد فصل في تفسيرها الزمخشري قائلا: "كي لا يكون الفيء (دولة) الذي حقه أن يعطي الفقراء ليكون لهم بلغة يعيشون بها، بين الأغنياء يتكاثرون به، أو كي لا يكون لهم دولة

1- الزمخشري، أساس البلاغة، تح.عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1982م، ص139.

2- مجد الدين محمد بن يعقوب (الفيروز أبادي)، القاموس المحيط،ت.أبو الوفاء نصر الشافعي،دار الكتاب الحديث، القاهرة،مصر، د.ط، د.ت، ص1014.

3- جماعة من المختصين، معجم النفائس الوسيط،إشراف. أحمد أبو حاقة، دارالنفائس، بيروت.لبنان، ط1، 2007م، ص402.

4- الحشر،آية7.

جاهلية بينهم، و معنى الدولة الجاهلية أن الرؤساء منهم من كانوا يستهزؤون بالغنيمة لأنهم أهل الرياسة و الدولة و الغلبة»[1].

كما جاء في قوله تعالى:﴿...وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾[2].

حيث ذكر الزمخشري بشأنها:"تداولها نصرفها بين الناس، نديل تارة لهؤلاء وتارة لهؤلاء، كقوله مما ذكر من أبيات:

فيومًا علينَا ويومًا لنَا *** ويومًا نساءُ ويومًا نسرُ»[3].

وكل هذه المعاني تفيد لتحول والانتقال من حالة إلى أخرى.و قد ذكر لفظ التداولية أيضافي قوله تعالى:

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[4].

أي لا تلقوا بأموالكم إلى الحكام لتأكلوها بالتحاكم، فتداولوا من الإدلاء أي الإلقاء. يقال: "أدليت دلوي في البئر أدلوتها ونزعتها، ومن المجاز دلوت حاجتي طلبتها، ودلت به إلى شبعت به إليه، وأدلى بحجته أظهرها و أدلى بمال فلان إلى الحكام رفعه»[5].أي: أرسله إلى الحكام.

و ورد لفظ تداول عند "حنا غالب" بمعنى التناوب على الشيء حيث يقول: "وناوبه وداوله

1-الزمخشري،الكشاف عن حقائق التنزيل وعيوب الأقاويل في وجوه التنزيل، دار المعرفة للطباعة والنشر ،بيروت،لبنان،د.ت، ج2، ص438.

2-آل عمران، آية 140.

3- الزمخشري، الكشاف، ص466.

4- البقرة، آية 188.

5- شهاب الدين ابن خفاجي، عناية القاضي و كفاية الراضي، دار الكب العلمية، بيروت،لبنان، ط1، 1997م، ج2، ص476.

وغايره: و يقال تناوبوا على الأمر و تداولوه»[1].

إذا نظرنا إلى مختلف المفاهيم اللغوية التي أوردت مصطلح التداول سواء في النصوص القرآنية أو في المعاجم و المصادر اللغوية نجد أن دلالة المصطلح تدور حول معاني التحول والانتقال و التناوب على الشيء.

2- المفهوم الاصطلاحي للتداولية "Pragmatique"

أ- عند الغـرب:

لقد كانت سنة 1938 بمثابة الميلاد الأول لمصطلح Pragmatique،على يدالفيلسوفتشارل موريس"Charles Moris" حيث عرفها بأنها:«جزءمنالسميائيات، تهتم بدراسة العلاقة بين العلامات و مستعمليها»[2].

أما الباحث اللساني ليفنسونLivinson«فيقترح وجوها متعدد عرفت بها التداولية: الوجه الأول: مستمد من تعريف تشارل موريس في تقسيمه للسميائيات إذ عدت التداولية بذلك دراسة للاستعمال اللغوي Langage Usage لمجموعة من الأشخاص تربطهم معارف خاصة ووضعية اجتماعية معينة.

الوجه الثاني: فقد ربطه ليفنسون بخاصية الإدراك، أو القدرة على فهم الجمل الغريبة.وأخيرا ربطها (التداولية) بالسياق على أنها دراسة لكفاية مستعملي اللغة في ربطهم اللغة بسياقاتها الخاصة»[3].

1-حنّا غالب، كنز اللغة العربية، موسوعة في المترادفات و الأضداد والتعابير، مكتبة لبنان،بيروت،لبنان، د.ط، د.ت، ص4.

2-خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، العلمة، الجزائر، ط2، 2012م، ص140-141.

3-إدريس مقبول، الأسس الإبستيمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه، عالم الكتب الحديث، اربد،الأردن، ط1،2006م، ص262.

وهذا التعريف يحيلنا إلى أن التداولية تعنى بدراسة اللغة في الاستعمال، وهذا يدل على وجود متكلم، ومستمع وقناة تواصل، وهي تمثل مكونات عملية الاتصال، لذلك فمعظم الباحثين أدركوا الأهمية الكبرى للسياق و أولوه الدور الأساسي في تعريف التداولية.

أما فان دايكVanDijkفقد عرف التداولية بأنها"علم يختص بتحليل الأفعال الكلامية ووظائف المنطوقات اللغوية، و سماتها في عملية الاتصال بشكل عام"[1].

فهو يرى أن التداولية تهتم بدراسة الأفعال الكلامية و الكشف عن أهميتها في عملية

التواصل، و الأثر الذي تتركه في مستعمليها، وتعتبر نظرية أفعال الكلام من أهم الأسس التي قامت عليها التداولية.

كما عرفها إيلوار بأنها: "إطار معرفي يجمع مجموعة من المقاربات تشترك عند معالجتها للقضايا اللغوية بثلاث معطيات لما لها من دور فعال في توجيه التبادل الكلامي وهي:

- المتكلمين (المخاطب / المخاطب)
- السياق(الحال/ المقام)
- الاستعمالات العادية الكلام، أي الاستعمال العادي و اليومي للغةفي الواقع"[2].

والملاحظ أن إيليوار ركز في تعريفه للتداولية على عناصر التبادل الكلامي المتمثلة في: (المتكلم،المستمع، والسياق، ودوره في تحديد المعنى)، وذلك لما لها من أهميةفي تحقيق التواصل.

وتجدر الإشارة إلى أن عنصر السياق context يعد من أهم عناصر التداولية التي أخذها بعين الاعتبار في عملية الإنتاج اللغوي لأن المعاني الحقيقية للملفوظات لا يمكن تحديدها إلا إذا كانت ضمن سياق معين إذ أن:"عملية الفهم والإفهام لا يمكن أن تتم بمنأى عن السياق اللغوي الذي يتيح للمرسل التلفظ بخطابه ضمن مقام معين يتجه به نحو المرسل إليه، فيصبح

1-محمد الأخضر الصبيحي، المناهج اللغوية الحديثةأثرها في تدريس النصوص، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه دولة، إشراف: يمينه بن مالك،جامعة قسنطينة،2004م،2005م، ص176،177.

2-خولة طالب إبراهيم، مبادئ في اللسانيات، دار القصبة للنشر،الجزائر،الجزائر، د.ط، 2000م،ص176،177.

معنـى الملفوظ هو القيمـة الحقيقيـة التـي يكتسبها الخطـاب فـي سياق التلفظ، أي أن المعنـى كقيمـة للملفوظ لا تتحكم فيـه اللغـة بقدر مـا يتحكم فيها مستعملوها»[1].غير بعيد عن ذلك نجد f.Licantليكانـت، A.M.Dillerديلر'يعرفانها بقولهمـا:«إن التداوليـة تـدرس استعمال اللغـة من خـلال عمليـة الكـلام و السـمات المميـزة التـي يتميـز بهـا النظـام اللغـوي التـي تظهـر قوتهـا (أهميتها) الحديثية»[2].

و لعل التمعن في التعريفات السابقة يوصلنا لا محالة إلى أنها تجمع على أن هذه الأخيرة (التداولية) تعنـي دراسـة اللغـة فـي الاستعمال، و هذا يدل دلالـة واضـحة علـى وجود متكلم ومستمع و قناة تواصل و هي مكونات سياق الكلام، إن لم نقل بعض مكوناته.

ومعنى هذا أن التداولية تهتم بدراسة المعنى الكامن في الكلمات وحدها أو المرتبط بأحد مكونات الرسالة اللغوية.

ب- عند العـــرب:

لقد برزت جهود جادة في محاولة الوصول إلى مفهوم شامل ودقيق لمصطلح التداولية، وهذا راجع لعدة أسباب من بينها:

- حداثة هذا الحقل في المباحث اللسانية.
- نشأتها غير القارة في مصدر معين من مصادر المعرفة الإنسانية فهي:«تنتميإلىعلم اللغة كما تنتمي إلى علم النفس و علم الاجتماع»[3].
- تباين المنطلقات الفكرية والفلسفية للباحثين مما أدى إلى تباين وتنوع تعريفاتها.

هذا بالإضافة إلى صعوبة الوقف عند تسمية معينة فقد تعددت الترجمات للمصطلح الأجنبي "pragmatique"، فقيل البراغماتية، والبراغماتيك، وليس هناك إشكال فهي تعد

1-عبد الهادي بنظافر الشهري،استراتيجيات الخطاب(مقاربة لغوية تداولية)، الدار الجديدة المتحدة،(بيروت، لبنان)،ط1، 2004م،ص22،23.

2- الطاهر لوصيف،التداولية اللسانية، اللغة و الأدب،(مجلة أكاديمية)،قسم اللغة العربية، كلية الآداب و اللغات، جامعة الجزائر، العدد 17، 2006م، ص8.

3-فان دايك،علمالنص،مدخل متداخل الاختصاصات،ت.سعيد حسين بحيري،القاهرة،مصر،ط1، 2001م، ص144.

الترجمة الحرفية للمصطلح الأجنبي، إنما الفرق وجد بين المصطلحات العربية حيث ترجمت pragmatique إلى المقامية و الوظيفية والساقية والذرائعية والنفعية، ونجد أن بين هذه المصطلحات فروق في المعاني لا تسمح باستعمالها مترادفة.

غير أن مصطلح التداولية الذي استخدمه الدكتور طه عبد الرحمان سنة 1970م « ومدحه الدكتور الجيلاني دلاش بالخفة و السلاسة»[1]، هو الذي صار مهيمنا على استعمالات الدارسين.

حيث يقول 'طه عبد الرحمان' في هذا الصدد: « وقع اختيارنا منذ سنة 1970م على مصطلح التداوليات مقابل للمصطلح الغربي براغماتيقا لأنه يوفي المطلوب حقه باعتبار دلالته على معنيي الاستعمال، والتفاعل معا»[2].ومنذ ذلك الحين لقي مصطلح التداولية ترحيبا لدى الباحثين، وأخذوا يدرجونه في أبحاثهم.

و من هذا المنطلق يعرف 'طه عبد الرحمان' التداولية في قوله: « التداول عندنا متى تعلق بالممارسة التراثية، و هو وصف لكل ما كان مظهرا من مظاهر التواصل و التفاعل بين صانعي التراث من عامة الناس و خاصتهم، كما أن المجال في سياق هذه الممارسة هو وصف لكل ما كان نطاقا مكانيا و زمانيا لحصول التواصل و التفاعل، فالمقصود بمجال التفاعل في التجربة التراثية، هو إذ محل التواصل و التفاعل بين صانعي التراث»[3].

فالتداول من خلال هذا التعريف جاء بمعنى التواصل و التفاعل.

في سنة 1985م ظهر مؤلف للباحث المغربي 'أحمد المتوكل' حول الوظائف التداولية بعنوان: الوظائف التداولية في اللغة العربية، حيث عد هذا المؤلف إنجاز تداوليا نحويا هاما أسهم في إثراء هذا الاتجاه الدراسي، الذي حصر مصادر التفكير التداولي اللغوي العربي في علم النحو و البلاغة و الأصول و التفسير و كل هذه العلوم تؤول إلى المبادئ الوظائفية، إذ يرى أحمد المتوكل أن: «إنتاج اللغويين العرب والقدامى إذا أعتبر في مجموعه (نحوه

1- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص119.

2- طه عبد الرحمان،أصول الحوار وتجديد علم الكلام،الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2000م، ص27.

3- طه عبد الرحمان،تجديد المنهج في تقويم التراث،الدار البيضاء،المغرب،ط2، 2005م، ص244.

وبلاغتــه و أصــوله و تفسـيره) درس لغـوي وظيفـي يشـكل مرحلـة مـن أهـم مراحـل تطـور المقاربات الوظيفية في الفكر اللساني»[1].

أما الدكتور مسعود صحراوي فيقر بأن التداولية ليست علما لغويا محضا و لكنها: «علم جديد للتواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال و يدمج من تم مشاريع معرفية متعددة في دراسة ظاهرة التواصل اللغوي و تفسيره»[2].

فتفسير ظاهرة التواصل اللغوي يعني الخروج إلى معنى المتكلم أو تجاوز المعنى اللغوي والدلالي إلى المعنى المقصود، وهي بهذا المعنى تعد فرعا من فروع علم اللغة يبحث في كيفية اكتشاف السامع مقاصد المتكلم أو بعبارة أخرى هي دراسة معنى المتكلم مثلا:«إذا قال لك أحدهم هذه سيارتك؟ ليس بالضرورة أنه ينتظر منك الإجابة بنعم أو لا فقد يريد أن ينبهك لتبعد سيارتك من طريقه»[3].

وعلى الرغم من هذا الاختلاف في تحديد مفهوم هذا المصطلح(التداولية) وتنوع التعريفات بتنوع الاتجاهات الثقافية و الفكرة لواضعيها،إلا أننا نجد أن أغلب المفاهيم تتفق في بعض النقاط التي تسمح لنا باستخلاص مفهوم لمصطلح التداولية على أنها دراسة اللغة أثناء الاستعمال دون إهمال المعنى الذي يحدده السياق، مع التركيز على عناصر العملية التبليغية وهي (المرسل/ المرسل إليه) وهما طرفا الخطاب، أما الرسالة فهي الخطاب الذي يرسله المخاطب مراعيا في ذلك المقام ومقتضى الحال لتحقيق التواصل بهدف التأثير في المشاركين في العملية التواصلية،فالتداولية إذ تساعدنا على تحديد مقاصدنا و توضيحها ضمن سياق محدد ومناسب لها.

كما أن الدراسة التداولية لا تكتفي بالوصف والتفسير عند حدود البنية اللغويةبل تتجاوز ذلك إلى مستويات أعمق، وأكثر استيعابا للظاهرة اللغوية بكل أبعادها التواصلية.

1- أحمد المتوكل،اللسانيات الوظيفية مدخل نظري،منشوات عكاظ، الرباط ،المغرب،1987م، ص9.

2-مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية،ص29.

3-محمود أحمد نخلة،آفاق جديدة للبحث اللغوي المعاصر،دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،مصر،2006م، ص12.

المبحث الثاني: روافد اللسانيات التداولية.

لقد نشطت حركت المناهج النقدية حديثا لاسيما تلك التي تستند إلى الدرس اللساني و ما قدمته من نتائج في تحليل اللغة ودراستها، و لعل بعضا منها نشأ ردا على مناهج أخرى، و البعض الآخر يمكن أن يجمع ما تعرضه عدة مناهج سابقة ، مما جعل المنظومة المنهجية عموما في تغير دائم، و لم تعرف الاستقرار منذ مدة.

وظل النص الأدبي حقلا خصبا لها، مبينا ما فيها من جديد أو قصورفي معالجة الظاهرة الأدبية، و حظيت لغته باحتفاء معظم المناهج فتناولتها من مختلف الجوانب، ومن أهم ما يميز هذا التناول، أنها بدأت بالدراسة الإفرادية التي تنظر في الوحداتاللغوية،إلى الدراسة الدلالية التي تقف في محصول المعنى فيما بين تراكيب النص، إلى الدراسة التداولية (وهي امتداد للدراسة الدلالية)، التي تتجاوز ذلك إلى الاهتمام بنوايا المتكلم ومقاصدهوالاعتداد بالظروف المحيطة بإنتاج النص وتلقيه.

وبهذا تعد اللسانيات التداولية آخر مولود للسانيات مهمتها دراسة النص الأدبيوالظفر بالدلالة الكاملة، الكامنة في النص ذاته، و نفس منتجه، و في نفس متلقيه،وفي عناصر السياق المختلفة التي تحيط بعملية انجازه و أدائه.

ومن هنا عرف مطلع القرن العشرين تحولا هاما في تاريخ الفكر اللساني الحديث وتحديدا مع ما قدمه اللساني فردينان دي سوسير في محاضراته الشهيرة، حيث عدت تأسيسا لمرحلة جديدة مغايرة لتصورات الدارسين السابقين، لكن محاضرات **سوسير** عدت اللسانيات درسا جديدا، له مقوماته التي تميزه عن البحوث السابقة، وله مقولاته التي يستند إليها، بعده علما مستقلا ضمن حقول المعرفة الأخرى.

لذلك سنكتفي في ما يلي بذكر أهم ما قدمته محاضراته على سبيل التأسيس للدرس التداولي.

1-نشأة اللسانيات التداولية قديما.

قبل الحديث عن نشأة اللسانيات التداولية ينبغي الإشارة إلى تطور اللسانياتمن الاتجاهات البنيوية إلى ما بعد البنيوية.

فالمتتبع لدراسة اللغة عموما، يجدها ناشئة غالبا في الحقل الفلسفي أو الحقل الديني، على اختلاف توجهاته، وتلك كانت ميزة الدرس اللغوي قبل سوسير، حيث نشأة البحوث اللغوية ضمن القضايا الفلسفية أو الدينية، ولم تكن اللغة حينها بمعزل عن الفلسفة ولكن اجتهاد سوسير في محاضراته و إلحاحه على المادة المستقلة للغة عن الفلسفة بغية تأسيس علم مستقل يدرسها (اللسانيات)، جعل البحث اللغوي عموما يبتعد عن الحقل الفلسفي، ليخلص إلى بناه و تراكيبه، وخصائصه.

وبعد مسيرة الاتجاهات البنيوية المختلفة و ربما خلالها، تعود اللسانيات في منتصف القرن العشرين لتستند إلى الدرس الفلسفي و مقولاته، و صار للفلسفة الحديثة أكثر من اتصال باللغة، مما جعلها أحد المصادر الهامة لتطورات اللسانيات الحديثةو سنلمس ذلك بوضوح خلال تتبع مسار نشأة اللسانيات التداولية.

لقد ظهرت العديد من التيارات اللسانية ما بعد البنيوية و التي اعتمدت المعطيات اللسانية السوسيرية و استندت إلى مقولات الفلسفة اللغوية و التي نذكر منها:

- اللسانيات التوليدية التحويلية.
- اللسانيات الوظيفية.
- اللسانيات النصية.
- اللسانيات التداولية، وهو الاتجاه الذي سنخصه بالتفصيل و الشرح.

«يعد هذا الاتجاه امتدادا لما أرساه بيرس في القرن التاسع عشر حين صاغه بـ: "Pragmatisme" عام 1905م، ثم عدل مفاهيمه وليم جيمس، و قوامه أن قيمة الأفكار

المجردة تقاس بمدى انطباقها على الواقع و صيغتها عمليا؛ ثم سرعان ماصارت هذه السمة مميزة للثقافة الأمريكية الحديثة بشكل عام»[1].

وهي تسمح بالنظر إلى عالم يموج بالحياة والنشاط، بعيدا عن العالم المصطنع الذي يتخيله الفيلسوف المثالي.

ولئن كانت لا تعترف إلا بمادية الفعل و واقعيته، فالثقافة العربية تؤيد ذلك، لكنهالا تعزو كل شيء إلى انطباقه عمليا، مما يعكس الجانب الروحي للثقافة العربية وما يرتبط به. و لفهم حقيقة اللغة، يدعو هذا الاتجاه إلى الاهتمام بما أهملته اللسانيات في الجانب الاتصالي،لاسيما دراسة اللغة بمستخدميها، حيث لا يمكن أن تبقى محصورة في علمي النحو والمعاني، والإلمام بكل العناصر الفاعلة في عملية الإبلاغ.

و بهذا نكون قد تتبعنا بإيجاز مسار اللسانيات منذ نشأتها إلى ظهور الدرس التداولي.

إن تقصي جذور التداولية يفضي لا محالة إلى منبع كان بمثابة الأرضيةالتي نبتت فوقها التداولية، أطلق عليها اسم الفلسفة التحليلية، و قد ظهر هذا الاتجاه بزعامة الفيلسوف الألماني غوتلوب فرجيه GottlobFerge (1925/1848) في كتابه أسس علم الحساب، الذي أجرى فيه تحليلات لغوية كثيرة من بينها تميزه بين المعنى والمرجع،... كما كان له وافر الفضل في إحداث قطيعة بين الفلسفة القديمة و الفلسفة الحديثة.

وقد سار على درب فرجيه الفيلسوف النمساوي لودفيغفيتغنشتاينWittgentein (1951/1889) مؤسسا اتجاها جديدا سماه فلسفة اللغة العادية، «التي أقرت _ إن صح التعبير _ بزئبقية المعنى عند بحثها عن طبيعة هذا الأخير في كلام الرجل العادي فوصلت إلى نتيجة مفادها أن المعنى ليس ثابتا و لا محددا، و دعت بذلك إلى تفادي البحث في المعنى المنطقي الصارم»[2].

1- ينظر: ميجان الرويلي وسعد البازعي: دليل الناقد الأدبي، ص100.

2-مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص20.

و هكذا اتخذت الفلسفة التحليليةاللغة موضوعا للدراسة باعتبارها الأداة المعرفية التي نستطيع بواسطتها فهم الكون فهما صحيحا « ضاربة بذالك ما جاءت به الفلسفة الكلاسيكية و خاصة مبدأ اللغات الطبيعية التي لم تلتفت إليه هذه الأخيرة و لم تله ما يستحقه من الدراسة و البحث، و هو المبدأ نفسه الذي اهتمت به الفلسفة التحليلية، والذي يعد من صميم البحث التداولي»[1].

وبعد ذلك تأثر بهذا المنهج كل من الفلاسفة: شارل سندرس بيرس، أوستين، وسيرل، و قد اهتموا بشكل كبير في تطوير ها المنهج التداولي و إرساء دعائمه.

2-التداولية في الفكر الغربي:

لقد اهتم الدارسون منذ القديم بقضية الدلالة، فالمنطق عندهم مثلا بهدف إلى الإقناع و إلى تقديم الحجج و البراهين التي تثبت الأشياء و تربطها ببعضها، فالإنسان حسبهم مضطر إلى استخدام العلامات و نظام من الأدلة لتمثيل الواقع و الأشياء التي تحيط به، «ذلك نظرا لتعقيد العالم فهو محتاج إلى اللغة و إلى استعمالها ليعبر عن حاجاتهفاللغات هي أحسن مرآة للعقل البشري»[2]، لأنها تعبر عن رغباته أفكاره التي يطمح إليها.

1-شارل ساندرس بيرس:

يعتبر الفيلسوف والسميائي تشارل ساندرس بيرس من الأوائل الذين أحدثوا تطورا في المجال اللساني والفلسفي حيث« ارتبطت عنده التداولية بالمنطق ثم بالسميوطيقا»[3].

كما ارتبطت كذالك بميدان المعرفة و المنهج العلمي، فقد ظهرت ملامح التداولية مع ظهور مقال كيف نجعل أفكارنا واضحة عام 1878م، و قد تساءل بيرس متى يكون للفكرة معنى ، ودرس الدليل وعلل إدراكه بواسطة التفاعل الذي يحدث بين الذوات والنشاط السميائي و قد حاول تطوير التجربة الإنسانية من خلال الأدلة، وربطها بالواقع الاجتماعي،

1- مسعود صحراوي، المرجع السابق، ص21.

2- الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص 11.

3- نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة،ص 198.

إن الواقع المدلول الذي يفترض تجربة إنسانية مبنية لا على ماهو فردي بل على ما هو اجتماعي.

وقد اختلف مفهوم بيريس للتداولية بتطور مراحل فكره، إذ انطلق ابتداء بالتساؤل و البحث عن كيفية جعل أفكارنا أكثر وضوحا، و انتهى إلى أن تصورنا لموضوع ما يقاس بالنتائج، وقد اهتم بيريس بالإشارة اهتماما بالغا، وبحث عن الطرق التي بواسطتها يتم الاتصال بين الأفراد، وجعلها نظرية ليعتبر من خلال ذلك أن التداولية فرع من السميائيات وذلك فيما كتبه وعبر عنه في تلخيصه لإطارها العام، و ذلك أن السميائيات المتداولة ترفض كلا من الدراسات التركيبية و الدلالية.

فالتداولية بهذا المنظور هي نقل للواقع و وسيلة من وسائل المعرفة و الاتصالومنهج لجميع ميادين المعرفة ، ولذلك رأى بيرس» أن بالتحديد التداولي تتحدد العلامة اللسانية، بحكم استعمالها في تنسيق مع علامات أخرى من طرف أفراد جماعة معينة»[1]، العلامة اللسانية تحمل معناها من خلال ظروف استعمالها.

2-شارل موريس:

لقد اعتبر تشارل موريس التداولية جزءا من السميائيات و أحد مكوناتها، تهتم بدراسة العلاقة بين العلامات، و بين مستعمليها و مفسريها (متكلم، سامع، قارئ، كاتب...)، وحدد ما يترتب عن هذه العلامات حينما شرح أبعاده السميائية الثلاثة:

- «علاقة العلامات بالموضوعات المعبر عنها، و ذلك بعد دلالي يهتم بعلم الدلالة
- علاقة العلامات بالناطقين بها، وبالمتلقي، و بالظواهر النفسية والحياتيةوالاجتماعية المرافقة لاستعمال العلامات و توظيفها. وذلك هو البعد التداولي، اهتمام التداولية.
- علاقة العلامات فيما بينها، وذلك بعد تركيبي، يهتم به علم التراكيب»[2].

1-محمود أحمد نخلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 41

2- الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص18،19.

ولقد نبه موريس إلى علاقة العلامة بمستعمليها و طريقة توظيفها وأثرهاعلى المتلقينوإلى علاقة الرموز بمؤوليها، وكل هذه الفروع مرتبطة ببعضها ارتباطا وثيقا.

فالتداولية تدرس كيفية تفسير المتلقي للعلامة، وهذا التفسير لا يتم بمعزل عن كل البنى التركيبية و النحوية للغة المستخدمة، لأن النظام اللغوي يركز على الأشياء والعلامات والتداولية تعتمد على علمي التركيب والدلالة في محاولتها الكشفعن مقاصد المتكلم.

و لقد نظر موريس إلى الأدلة وبحث في كيفيات تأثيرها على المرسل إليه، فقد نظر إليها نظرة سلوكية، وقال أنها هي الطاغية على الموقف وهي التي تهيئ المخاطب لاتخاذ رد فعل معين، فكل قول في وضع معين يؤدي إلى الإجابة نفسها، أو رد الفعل في كل مرة يستوجب دليل ما، كاتخاذ موقف لدى المتلقي سواء كان هذا الموقف إيجابيا أم سلبيا إزاء ما حدث، أو شيء ما أو مقام ما.

مما سبق نستنتج أن موريس لا يبتعد كثيرا عن تصور بيرس إلا من حيث البعد السلوكي، و لقد كان مفهوم موريس محفزا أو سببا للنهوض بمجموعة من الدراسات تضمنت دراسة الظواهر النفسية و الاجتماعية الموجودة داخل أنظمة العلامات بشكل عام، و داخل اللغة بشكل خاص، و دراسة التصورات التجريدية التي تشير إلى الفاعلين ودراسة المفردات التأثيرية و الإشارية.

3-فينجنشتاين (1951/1889):

«فكر فينجنشتاين متأثرا بالفلسفة و المنطق و حاول الإسهام في حقل اللغة ، و إيجاد لغة مثالية تتطابق و الفكر الفلسفي ، و لكنه سرعان ما عدل عن ذلك و اتجه إلى دراسة اللغة العادية»[1].

و تعتمد هذه الفلسفة على ثلاثة مفاهيم أساسية هي: الدلالة، القاعدة، ألعاب اللغة.

- **الدلالة:** وقد فرق بين الجملة و القول و جعل الجملة أقل اتساعا من القول.

1- محمود أحمد نخلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر،ص42.

- **القاعدة:**هي مجموع المثل الصالحة لعدد كبير من أحوال المتكلمين و التي تسمح بالتنويع للنشاط اللغوي و هي القاعدة النحوية الصحيحة في الترتيب و الاستعمال.
- **الألعاب اللغويـة:** إنـه مفهوم لا ينفصل عن مفهومي الدلالـة، و القاعدة ، وهـي فـي نظر فينجنشتاين شكل من أشكال الحياة، و قد تنوع النشاط اللغوي و تعددت الطرائق في استخدام الجملة الواحدة كالشكر و التحية، فحسب فينجنشتاين اللغة ليست حسابا منطقيا، بل كل لفظة لها معنى معين، و لكل جملة معنى في سياق محدد، فالكلمة والجملة تكسب معناها من خلال استخدامها»[1].

إذ معرفة المعنى عند فينجنشتاين يتحدد من خلال الاستعمال.

لقد ساهم الفيلسوف فينجنشتاين مساهمة فعالة في مجال التداولية،حيث جعل الاستعمال هو الذي يبث الحياة و الحركة في اللغة، و جعل التواصل هدفا للغة.

و بالرغم من الجهود الفلسفية في مجال اللغة و التداولية على وجه الخصوص إلا أن البحث فيها لم يتضح، و إجراءاتها التحليلية لم ترق إلى درجة العلمية و الموضوعية

إلا بمجيء الفيلسوف 'جون أوستين' الذي أدخل التداولية في رحلة الاكتمال و النضج.

4-جون أوستين:

لقد تأثر جون أوستين بمن سبقه من الفلاسفة من أمثال 'فينجنشتاين' حيث اعتبر أن اللغة تستخدم لتصف العالم، و ماهي إلا أداة رمزية تشير إلى الواقع، و الوقائع الخارجية.

و قد تصدى أوستين لهذه الأفكار و نقدها و أنكر أن تكون الوظيفة الأساسية للغة هي الإخبار، « فالعبارات الإخبارية هي وصف حال الوقائع وصفا إما يكون صادقاأو كاذبا و أطلق عليه اسم المغالطات الوصفية»[2]، ليميز بين نوعين من العباراتالتي تكون أفعالا منجزة

1- محمود أحمد نخلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص43.

2- الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص 22.

فالأولى تخبر عن وقائع العالم الخارجي و يمن الحكم عليها بالصدقأو الكذبوالثانية تنجز بها الأفعال و هي لا تتحمل الصدقأو الكذب.

من خلال ما سبق نجد أن أوستين و ضع نظرية الأفعال الكلامية، و يمكن تلخيص فكره «في نقطتين:

- الأولى تتمثل في رفضه لثنائية الصدق و الكذب.
- الثانية تتمثل في إقراره بأن كل قول عبارة عن فعل»[1].

5-ســـــــيرل:

لقد كانت جهود أوستين مركز انطلاق أو نقطة إقلاع لتأسيس نظرية أفعال الكلام، حيث أكمل الباحث سيرل مساعي و أفكار أوستين حينما حدد مفهوم الفعل الإنجازي الذي غدا مفهوما محوريا في نظرية أفعال الكلام، وأحكم الأسس المنهجية التي تقوم عليها، لكن الفضل الذي غدا مفهوما محوريا في نظرية أفعال الكلام.

يمكن تلخيص جهود سيرل في النقاط الآتية:

«**أولا:** نص سيرل على أن الفعل الإنجازي هو الوحدة الصغرى للاتصال اللغوي،وأن القوة الإنجازية دليل يسمى 'دليل القوة الإنجازية' الذي يؤديه المتكلم بنطقه لجملة معينة يكون باستعماله لصيغة معينة تدل على دلالة معينة كالأمر،أوالنهي.

ثانيا: أن الفعل الكلامي مرتبط بالعرف اللغوي و الاجتماعي، و هو أوسع من أن يقتصر على مراد المتكلم.

ثالثا: طور سيرل شروط الملائمة، و جعلها أربعة و هي على التوالي:

- **شرط المحتوى القضوي:** و هو الذي يقتضي فعل في المستقبل يطلب من المخاطب كفعل الوعد.

1- الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص 22.

- **الشـرط التمهيـدي:** يتحقق هذا الشرط إذا كان المخاطب قادرا على إنجاز الفعل والمتكلم على يقين القدرة.
- **شرط الإخلاص:** يتحقق حيث يكون المتكلم مخلصا في آداء الفعل، فلا يقول غير ما يقصد و لا يزعم على أنه قادر على فعل ما لا يستطيع.
- **الشرط الأساسي:** يتحقق من خلال محاولة المتكلم التأثير في السامع للقيام بالفعل أو إنجازه حقا.

رابعا: قسم سيرل أفعال الكلام إلى أفعال مباشرة و غير مباشرة»[1].

وسنقوم بتفصيل أكثر لهذه العناصر في مبحث لاحق متعلق بعنصر أفعال الكلام.

1-الجيلاليدلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص 29.

3-التداولية في الفكر العربي

تميزت الدراسات اللغوية في التراث العربي بالاهتمام ببعض الجوانب التي تعد اليوم من أهم المبادئ التي تأسست عليها اللسانيات التداولية، حيث اهتم الدارسون القدامى بدراسة النص باعتباره خطابا متكاملا متجاوزة بذلك مجرد وصف البنية و الشكل النحويوكل ما له علاقة بعملية التواصل اللغوي كما اهتموا بمعيار الصدق و الكذب، و مطابقة الخطاب للواقع و عدمه مع مراعاة المقام و مطابقته لمقتضى الحال.

و تبدوا هذه المبادئ السمات التداولية واضحة المعالم في أعمال بعض الباحثين القدماء نحو ذلك الرسالة للشافعي (ت204ه)، البيان والتبيين للجاحظ، (ت255ه)، الخصائص لابن جني (ت392ه)،والصحابي في فقه اللغة و عن العرب في كلامها. أحمد بن فارس ت(395ه)، و دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني (ت471ه)، و أصول السرخسي(ت483ه)، الكشاف للزمخشري ت(538ه)، التفسير الكبير لفخر الدين الرازي(ت606ه) مفتاح العلوم للسكاكي(ت626ه).

إلى جانب الأعمال الحداثية مثل: تجديد المنهج في تقيم التراث لطه عبد الرحمن، بالإضافة إلى أعمال أحمد المتوكل نحو: الوظائف التداولية في اللغة العربية، واللسانيات الوظيفية.

و كل هذه الأعمال عالجت المسائل التداولية، نحو قضية المقام، والتأويل ومقتضى الحال و قواعد استعمال اللغة لدى المتكلمين و دورهم في عملية التبليغ والإفهام و ما أدى ببعض الباحثين إلى القول بأن اللغويين العرب كانت لهم أسبقية الخوض في مجال الدرس اللساني التداولي، حيث يشير سويرتي في قوله أن:«النحاة و الفلاسفة المسلمين، والبلاغين و المفكرين مارسوا المنهج التداولي قبل أن يذيع صيته بصفته فلسفة و علم، رؤية و اتجاها

أمريكيـا و أوروبيـا، فقـد وظـف المـنهج التـداولي بـوعي فـي تحليـل الظـواهر والعلاقـات المتنوعة»[1].

فالدراسات اللغوية العربية كانت تقوم في الأصل على النظر في الخطاب مهتمة في الوقت نفسه بدور المشاركين في الحديث (المتكلم، السامع) ودورهم في عملية الإفهام، وهذا ما يقابل البيان عند الجاحظ فهو» اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته و يهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان، و من أيجنس كان الدليل، لأن مدار الأمر و الغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنما هو الفهم و الإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، ذلك هو البيان في ذلك الموضع»[2].

وكما اهتمت هذه الدراسة اللغوية العربية عملية التواصل أو الاتصال منذ القديم حيث تعود جذورها إلى الدراسات التنظيرية الأولى عند الجاحظ، وأبي هلال العسكري،وابن قتيبة وحازم القرطاجني وغيرهم، لكنها كانت ذات طابع معياري تهتم بالأثر الناتج مباشرة عن الرسالة، والشروط التي تجعل الخطاب ناجحاً، وفي هذا ملامح للتداولية الحديثة، فكما ركز هؤلاء المنظرون على المرسل والمتلقي، والرسالة، وعملية التأثير والتأثر، والقصد، عضو نوايا المتكلم ، والفائدة من الكلام، والإفهام... فإنها أيضاً تعد جوهر النظرية التداولية.

وقد ذهب محمد العمري في كتابه البلاغة العربية إلى أن التداولية الحديثة بعد جاحظي في أصله لاهتمام الجاحظ وتركيزه على هذا المستوى في كتابه البيان والتبيين وعلى عملية التأثير في المتلقي، والإقناع، وقد سميت هذه النظرية عنده، والتي تعرف اليوم بالتداولية بنظرية: التأثير والمقام.

يقول محمد العمري: «إن هذا البعد هو أحد الأبعاد الأساسية في البلاغة العربية وهو بعد جاحظي في أساسه، وإن تخلي البديعيين عنه في مرحلة لاحقة أدى إلى اختزال البلاغة

1- محمد سويرتي، اللغة ودلالاتها، تقريب تداولي للمصطلح البلاغي، (مجلة) عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، السعودية، المجلد 28، العدد3، مارس 2000، ص30

2- الجاحظ (ابو عثمان عمرو بن بحر)، البيان والتبيين، تح. وشرح عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، د.ط، ج1، د.ت، ص76.

العربيـة وتضـيق مجالهـا، وتحظـى نظريـة التـأثير والمقـام حاليـاً بعنايـة كبيـرة فـي الدراسـات السميائية، ومن ثم الشروع في إعادة الاعتبار إلى البلاغة العربية تحت عنوان جديد هو التداولية»[1].

وتتجلى جذور التداولية عند الجاحظ من خلال تقسيمه للبيان إلى ثلاث وظائف واهتمامه أكثر بالوظيفة التأثيرية، التي تمثل جانباً مهماً في التداوليات الحديثة، يقول الجاحظ:«أما بعد،يمكن إرجاع وظائف البيان،اعتماداً على كل ما سبق إلى ثلاث وظائف أساسية هي:

- الوظيفة الإخبارية المعرفية التعليمية (حالة حياد،إظهار الأمر على وجه الإخبار قصد الإفهام).
- الوظيفة التأثيرية (حالة الاختلاف) تقديم الأمر على وجه الاستمالة وجلب القلوب.
- الوظيفة الحجاجية: (حالة الخصام) إظهار الأمر على وجه الاحتجاج والاضطرار»[2].

فكل هذه الوظائف تشكل جوهر النظرية التداولية في الدراسات المعاصرة باعتبارها مقاربة تهتم بالتواصل في الدرجة الأولى،والإقناع، والتأثير،وإيصال المعنى، وتقديم الفائدة،ومنه فإن غايتها منفعية بحتة.

يقول الجاحظ: «المعاني القائمة في صدور الناس، المتصورة في أذهانهم، والمتغلغلة في نفوسهم... مستورة خفية،وبعيدة وحسية،ومحجوبة مكبوتة... لا يعرف الإنسان ضمير صاحبه،ولا حاجة أخيه وخليطه.. إلا بغيره، وإنما يحيي تلك المعاني ذكرهم لها،وإخبارهم عنها،واستعمالهم إياها، وهذه الخصال هي التي تعود بها إلى الفهم وتجليها للعقل... وتجعل المهمل معبداً، والمقيد مطلقاً... وكلما كانت الدلالة أوضح وأفصح،وكانت الإشارة أبين وأنور،كان أنفع و أنجح...»[3].

ثم يشير الجاحظ إلى أهمية الإفهام في عملية الإقناع و التأثير و يوضح ذلك في قوله:«أصناف لدلالات على المعاني من لفظ و غير لفظ خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد:

1- محمدالعمري،البلاغةالعربية،أصولهاوامتداداتها،أفريقياالشرق،المغرب، 1999،ص293.

2- الجاحظ،البيانوالتبيين،ج1، ص75.

3-المرجع السابق، ص 75.

أولها: اللفظ ثم الإشارة ثم العقد ثم الخط، ثم الحال التي تسمى نصبة، و النصبة هي الحال الدالة، التي تقوم مقام تلك الدلالات، و لكل واحد من تلك الدلالات، و لكل واحد من هذه الخمسة صور بائنة من صورة صاحبتها وحلية مخالفة لحلية أختها و هي التي تكشف لك عن أعيان المعاني في الجملة ثم عن حقائقها في التفسير و عن أجناسها و أقدارها و عن خاصها وعامها، و عن طبقاتها في السار والضار، وما يكون منها لغويا بهرجا و ساقطا مطرحا»[1]، حيث ميز الجاحظ بين هذه الأصناف الخمسة « للدلالة بحسب أهمية كل صنف و دوره في الحياة التواصلية الإنسانية، و هو إذا يعدد أصناف الدلالات في معرض إحصاء وسائل الفهم و الإبانة عما في النفس أيا كانت هذه الوسيلة»[2].

كما أن الجاحظ قد اهتم بفكرة مقتض الحال و هذا يتجسد فيما أورده من كلام بشر بن المعتمر: « وإنما مدار الشرف شرف المعنى على الصواب إحراز المنفعة و موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من المقال»[3].

فمن أجل إحراز المنفعة يوازن المتكلم بين المعنى و المخاطب و الحال، و يوازن بينها بمقدار.

إضافة إلى الجاحظ نجد أبو يعقوب السكاكي الذي لا تختلف آراءه عن آراء الجاحظ حيث بدأت ملامح الاتجاه التداولي في أعماله، و يظهر ذلك من خلال اهتمامه بعناصر العملية التواصلية و ربطها بمقتضى الحال، و بالمتكلم و دوره في عملية التبليغ، وبوضعية السامع و طريقة تلقيه الخطاب، و يرى السكاكي« أنه لكل من هذين الطرفين (المتكلم/ المتلقي) دور فعال في تحديد المقصد و تبليغه و فهمه، قد يكون المتلقي خالي الذهن تماما أو مترددا في الحكم أو منكرا له، و قد يخرج الكلام عن خلاف مقتضى الظاهر فيجعل غير السائل ـ

1- الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص76.

2- فوزي السيد عبد ربه، المقاييس البلاغية عند الجاحظ في البيان و التبيين، مكتبة الأنجلوا مصرية، القاهرة، مصر، 2005 م، ص122 .

3-الجاحظ، المرجع السابق، ص136.

و هو خال الذهن ـ كالسائل ... منبها في الوقت ذاته على ضرورة مراعاة المقام و علاقته بالمتلقي و وجوب الالتفاف إلى أغراض الخطاب»[1].

أما في العصر الحديث نجد بعض الأعمال التي نظرت إلى اللغة نظرة تداولية من مثل بعض البحوث التي قدمها كل من: أحمد المتوكل و طه عبد الرحمن، حيث تتجلى ملامح البحث التداولي عند طه عبد الرحمان من خلال اهتمامه بالكلام والعمليةالتخاطبية، إذ يرى أن التخاطب يتم بين طرفين يتبادلان أقوالا معينة بغية وصول كل منهما إلى هدف وهو التبليغ إ يقول في هذا الصدد: « و لما كان التخاطب يقتضي اشتراك جانبين عاقلين في إلقاء الأقوال و إتيان الأفعال لزم أن تنضبط هذه الأقوال بقواعد و تحدد وجوه فائدتها الإخبارية أو على أقل فائدتها التواصلية نسميها بقواعد التبليغ،علماأن مصطلح التبليغ موضوع للدلالة على التواصل الخاص بالإنسان»[2].

ومن هذا المنطلق يرى طه عبد الرحمان: «أن المجال التداولي هو نوع من التفاعل والتواصل بين صانعي التراث من عامة الناس و خاصتهم»[3].

أما أحمد المتوكل فيعد من أبرز ممثلي هذا الاتجاه التداولي في الكتابات العربية الوظيفية والتداولية الحديثة، ويظهر ذلك من خلال أعماله المتنوعة في هذا المجال ومما قدمه هذا الباحث أن: « التحليل التداولي للغة يقتضي الاهتمام بتحديد طبيعةالوظائف التداولية في اللغة العربية و تتميز دراساته الوظيفية للغة باستنادها على ثلاث عناصر وهي: (التركيب، التداولية، والدلالة)»[4]؛ و يذهب إلى أن:

- الوظيفة الأساسية للغات الطبيعية هي التواصل.
- موضوع الدرس اللساني هو وصف القدرة التواصلية للمتكلم و المخاطب.
- يرى أن النحو الوظيفي نظرية التركيب و الدلالة ذات طابع تداولي.

1–فوزي السيد عبد ربه، المقاييس البلاغية عند الجاحظ في البيان و التبيين، ص124.

2– طه عبد الرحمان، اللسان والميزان، المركز الثقافي العربي،دار البيضاء، المغرب، ط1، 1998م، 237.

3– طه عبد الرحمان، تجديد النهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، الرباط، المغرب، 1993م، ص244.

4– أحمد المتوكل،الوظائف التداولية في اللغة العربية، الدارالبيضاء، المغرب، ط1405،1ه/1985م، ص101.

وخلاصة هذا المبحث أن أهم ما يميز الدرس اللغوي العربي القديم أنه يقوم على دراسة اللغة أثناء الاستعمال، و إذا ما نظرنا إلى علوم تراثنا العربي من نحو، و بلاغة، فقه و أصول، تفسير و قراءات، بعدها وحدة متكاملة في دراسة اللغة، يمكن أن نميز من اتجاهاتها ما يهتم بوجه استعمال اللغة، و ما يتصل بها من قرائن غير لفظية، نحو: منزلة المتكلم و علاقته بالسامع، وحالة كل منهما النفسية والاجتماعية وغيرها.

المبحثالثالث: الوظائف التداولية.

عرفت الوظائف التداولية ضمن المدونة الاصطلاحية للدرس التداولي عموما،وهي امتداد لبحوث وظائف اللغة السابقة. و« يتلخص مفهومها في هذا المقام في تحديد مكونات الجملة بالنظر إلى البنية الإخبارية و المعلوماتية،مع ربطها بالطبقات المقامية المحتمل أن تنجز فيها»[1]، فهي إذاوظائف مرتبطة بالسياق والمقام، ومدى إنجازية اللغة في واقع التواصل.

و فيما يلي بعض التفصيل لهذه الموضوعات.

1-الأفعال الكلامية:"les actes des parole"

الفعل الكلامي مفهوم نظري حديث النشأة و لد في رحاب الفلسفة التحليلية الغربية التي مهد لها الفيلسوف الألماني غوتولب فرجيه في مؤلفه أسس علم الحساب الذي كان بمثابة انقلاب فلسفي جديد حيث: « أحدث قطيعة معرفية و منهجية بين الفلسفتين القديمة والحديثة، كما ربط بيم مفهومين تداوليين هامين هما الإحالة والاقتضاء»[2].

ولقد تعمق الفيلسوف النمساوي لودفيغفيتغنشتاين مؤسس تيار فلسفة اللغة العادية البحث فيها، و عدد من الباحثين «الذين آمنوا أن السبيل إلى فهم الإنسان لذاته و لعالمه هي اللغة، فتنادوا إلى ضرورة اتخاذها موضوعا للدراسة في أي مشروع فلسفي يروم فهم الكون و مشكلاته»[3].

1- أحمد المتوكل، الجملة المركبة في اللغة العربية، منشورات عكاظ، (الرباط، المغرب)، 1988م، ص25.

2-مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص20.

3-المرجع السابق، ص20.

ويعتبر أوستين الوريث الشرعي لتيار فلسفة اللغة العادية الذي عني بلغة التداول، فأوصى هذا الباحث بمراعاة الجانب الاستعمالي طبقا لمقامات التخاطب بقوله: «موضوع الدراسة ليس الجملة و إنما إنتاج التلفظ في مقام الخطاب»[1].

وكان قد رأى أن الفلسفة حادت عن الصواب لما اعتدت عن الأقوال الجازمة وحدهالما تبين له أن اللغة ليست مجرد أداة لنقل الأفكار ووصف الأشياء، وإنما هي ميدان تنجز فيه أعمال actes لا تنجز إلا في اللغة وباللغة، حيث قال جونز ليونز: « لقد كان هدف أوستين في البداية على الأقل أن يتحدى ما كان يعتبر مغالطة وصفية وهي فكرة أن الوظيفة الوصفية الفلسفية والمهمة الوحيدة للغة هي إنتاج عبارات خبرية صادقة أو كاذبة وعلى نحو أدق، كان 'أوستين' يتهجم على رأي عالم التحقق المرتبط بالفلسفة الوضعية النطقية التي تفيد أن الجملة تكون ذات معنى فقط إذا كانت تعبر عن قضايا يمكن التحقق منها أو تفنيدها»[2]؛ فبدا له أن يقسم الكلام إلى قسمين: قم تقريري، وقسم إنشائي.

وعليه فقد كان لظهور الفلسفة التحليلية « بمفهومها العلمي الصارم على يد الألماني غوتلوب فرجيه واعتماد التحليل منهجا فلسفيا جديدا كان له بلغ الأثر في ظهور 'فلسفة اللغة العادية' على يد 'فيتغنشتاين' الذي رأى أن اللغة الطبيعية هي الأداة في المعنى والذهاب، والذهاب أنه غير ثابت و لا محدد و تفادي البحث عن المعنى المنطقي الصارم»[3].

وأطلق 'فيتغنشتاين' على الاستعمالات المختلفة للغة « اسم ألعاب اللغةوأسمى كل استعمال لعبة لأن اللغة محكمة بالبيان الاجتماعي الذي يرد فيه»[4].

أ- أفعال الكلام عند الغرب

1-محمود أحمد نخلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 47.

2- جون ليون، اللغة و المعنى والسياق، تر.عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية،بغداد، العراق، ط1، 1987م، ص191.

3- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص18.

4-محمود أحمد نخلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص61.

هـي الفكـرة الأولـى التـي نشـأت منهـا اللسـانيات التداوليـة و مـن أهـم مرجعهـا، بـل يكمـن التأريخ منها للتداولية، حيث ارتبطت اللغة بإنجازها الفعلي في الواقع، و أفعل الكلام تسمية اقترحت في سنوات الستينات من قبل جون أوستين.

1- عند أوستين:

يعد مؤسس نظريـة أفعـال الكـلام و واضـع المصـطلح الـذي تعـرف بـه الآن،وذلـك فـي المحاضرات التي ألقاها في أكسفورد Oxford في العقد الثالث من القرنالعشرين ثم في محاضراته الإثني عشر التي ألقاها سنة 1955، ونشرت بعد موته في 1962 بعنوان " كيف نفعل الأشياء بالكلمات»[1].

توصـل أوسـتين فـي آخرمرحلـة مـن مراحـل بحثـه إلـى تقسـيم الفعـل الكلامـي الكامـل .actedeintégralediscoursإلى ثلاث أفعال فرعية على النحو الآتي: « فعل القول أو الفعل اللغوي إطلاق الألفاظ في جمل مفيدة ذات بناء نحوي سليم وذات دلالة، فعل القول يشتمل بالضرورة على أفعال لغوية نوعية»[2].

يوعي المستويات اللسانية المعهودة: المستوى الصوتي التركيبي، و المستوى الدلالي،لكن أوستين يسميها أفعالا:

«الفعل الصوتي: وهو التلفظ بسلسلة من الأصوات المنتمية إلى لغة معينة.

الفعل التركيبي:فيؤلف مفردات لغة معينة.

1- محمود أحمد نخلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر،61.

2-مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص18.

الفعل الدلالي: فهو توظيف هذه الأفعال حسب معان و حالات محددة، فعند قولنا مثلا: إنها ستمطر مكن فهم الجملة، و مع ذلك لا ندي أهي إخبار ب(أنها ستمطر)، أم تحذير عن عواقب الخروج في الرحلة، أم أمر بحمل مظلة أم غير ذلك... »[1].

ولا يفهم المقصود إلا بالرجوع إلى قرائن السياق لتحديد قصد المتكلم أو غرضه من الكلام.

«الفعل المتضمن في القول:هو الفعل الإنجازي الحقيقي إذ:أنه عمل ينجز بقول ما وهذا الصنف من الأفعال الكلامية هو المقصود من النظرية برمتها و لذلك اقترح أوستين تسمية الوظائف اللسانيةالثانوية خلف هذه الأفعال بالقوى الإنجازية.

الفعل الناتج عن القول: يرى أوستين أن مع القيام بفعل القول و ما يصاحبه من فعل متضمن في القول قد يكون الفاعل (هو هنا الشخص المتكلم) قائما بفعل ثالث هو التسبب في نشوء آثار في المشاعر و الفكر ومن أمثلة تلك الآثار: الإقناع، التضليل الإرشاد»[2].

خصائص الفعل الكلامي:

يلاحظ أوستين أنه توجد ثلاث خصائص للفعل الكلامي الكامل

- فعل دال.
- فعل إنجازي(ينجز الأشياء و الأفعال الاجتماعية بالكلمات).
- فعل تأثيري (أي يترك آثارا معينة في الواقع خصوصا أنه كان فعلا ناجحا).

ليقوم الفعل الكلامي على مفهوم القصدية و تقوم مسلمة القصدية أساس تداولي درسها فلاسفة التحليل ثم توسع في تعريفها و تصنيفها حتى غدت شبكة من المفاهيم المترابطة تملك قيمة تداولية نصية حوارية و تعد مراعاة مفهومها و شبكتها المفاهمية من أبرز المفاتيح المنهجية في الدراسات اللسانية النصية.

1- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص78.

2) مسعود صحراوي، المرجع السابق،ص 42،43 (اقتباس معنوي).

كما قام أوستين بتصنيف الأفعال الكلامية على أساس قوتها الإنجازية إلى «خمسة أصناف:

- الأفعال الحكمية(الإقرارية): حكم، وعد، وصف.
- الأفعال التمرسية: اصدار قرار لصالح أو ضد...، أمر، قاد، طلب.
- أفعال التكليف (الوعدية): تلزم المتكلم: وعد، تمنى، التزمبعقد، أقسم.
- الأفعال العرضية(التعبيرية): عرض مفاهيم منفصلة،أكد، أنكر، أجاب، وهب...
- أفعال السلوكيات(الإخباريات): ردود أفعال تعبيرات تجاه السلوك: اعتذر، هنأ، رحب»[1].

أ- عند سيرل:

استطاع سيرل أن يطور تصور أوستين لشروط الملائمة أو الاستخدام التي تحققت في الفعل الكلامي، و التي كانت بمثابة شروط نجاح الفعل الكلامي، وتطبيق نتائج الفعل النموذجي على بقية الأفعال.

وقام بتحديد مفهوم القوة المتضمنة في القول بتحليليه إلى مايلي:

«1-الغرض المتضمن في القول: حيث تتضمن في قول الغرض نفسه بعمل شيء.

2- درجة الشدة للغرض المتضمن في القول: حيث تتضمن في القول الغرض نفسه بدرجات مختلفة على أقل شدة، من مثل: أنا أصر عليك أن تعمل على شروط المحتوى القضوي. فعل في المستقبل مطلوب من المخاطب.

3- الشروط المعدة: هي الشروط اللازم تحقيقها ليكون الفعل صحيحا:جميع الأفعال التي غرضها حمل المخاطب على القيام بفعل ما.

وهناك ارتباط بين الشروط المعدة و نمط تحقيق الغرض لقوة ما.

1- فرانسواز (أرمينكوا)، المقاربة التداولية، تر. سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط، المغرب، 1986م، ص48.

4- شرط الإخلاص أو شرط الصراحة: المتكلم يريد من المخاطَب حقا أن ينجز هذا الفعل، و بذلك يتمكن من تحقيق الغرض المتضمن في القول بدرجات متفاوتة بحسب الشحنة التي يضيفها المتكلم على خطابه مثلا: المتكلم يريد أن يقدم على طلب يعبر عن رغبته بقيام المستمع بالفعل المطلوب، ولكنه إذا توسل أو استجدى أو تضرع فإنه يعبر عن رغبته أقوى من التي يعبر عنها بالطلب المجرد»[1].

كما تناول فكرة أفعال الكلام لسانيون عدّة بعد أوستين، سيرل، وعرضوا الكثيرمن قضاياها، لاسيّما مفهوم الفعل الإنجازي و شروط قيامه، ومفهوم القوة الإنجازية ووسائل ظهورها في البنية اللغوية.

ب- أفــعال الكلام عند العرب:

تندرج ظاهرة الأفعال الكلامية في البلاغة العربية ضمن مباحث علم المعاني وتحديدا ضمن الظاهرة الأسلوبية المعروفة **بالخبر و الإنشاء**، و بهذا يمكن أن نعدها مقابلة لنظرية أفعال الكلام عند الباحثين المعاصرين.

يعرف السكاكي علم المعاني بقوله:« اعلم أن علم المعاني هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة و ما يتصل و ما يتصل بها من الاستحسان وغيره، ليحترز بالوقوف عليها من الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره»[2].

ويوضح مفهومه لخواص تركيب الكلام فيقول: « و أعني بخاصية تركيب الكلام ما يسبق منه إلى الفهم عند سماع ذلك التركيب جاريا مجرى اللازم له»[3].

ويقول ابن خلدون عن علم المعاني:« هذا العلم الحادث في الملة بعد علم العربية واللغة هو من العلوم اللسانية لأنه متعلق بالألفاظ و ما تفيده، و يقصد الدلالة عليه من المعاني،... و يبقى من الأمور المكتنفة بالواقعات المحتاجة للدلالة عليها لأنه من تمام الإفادة، وإذا حصلت للمتكلم، فقد بلغ غاية الإفادة في كلام هو إذا لم تشتمل عليه منها

1- المرجع السابق، ص ص17، 18.

2-أبو يعقوب يوسف(السكاكي)،مفتاح العلوم، ضبط: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية،بيروت، لبنان، ط2،1987م، ص247.

3- المرجع السابق، ص247.

فليس من جنس كلام العرب، فإن كلامه واسع، و لكل مقام عندهم مقال، يختص به بعد كمال الإعراب و الإبانة»[1].

والملاحظ أن العلماء العرب عامة كثيرا ما كانوا يركزون على دعامة الإفادة في دراستهم للجملة و النص، إذ هي مناط التواصل بين مستعملي اللغة.

2-الحــجاج.

الحجاج مجال غني من مجالات التداولية، يعد ضمن الحقل التداولي رغم أنه انبثق من حقل المنطق و البلاغة الفلسفية.

أ- الحجاج في الفكر الغربي المعاصر

1-عند بيرلمان:

يربيرلمان مع زميله تيتيكافي مؤَلفِهما 'مقالاتفي الحجاج' أن:«موضوع نظرية الحجاج درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى السليم بما يعرض عليها من أطروحاتأو أن تزيد في ذلك التسليم»[2].

وبيرلمان يهدف من خلال صياغة نظريته في البرهان إلى «دراسة تقنيات الخطاب التي تسمح بتأييد الأشخاص للفروض التي تقدم لهم أو تعزيز هذا لتنوع على تنوع ثقافته»[3].

والحجاج في نظرهما يتجاوز النظر فيما هو حقيقي مثبت محدد، إلى تناول حقائق متعددة و متدرجة، فمبعثه إذا هو الاختلاف، وشرطه أن يقوم على موضوعية الحوار، حيث يقف فيه الآخر المحاجج موقف الشريك المتعاون، ولا موقف الخصم العنيد، من أجل تحقيق غاية

1- إبن خلدون ، المقدمة دار الفكر للنشر و التوزيع، بيروت، لبنان، د.ط، 1984م، ص729.

2-عبد الله صولة،الحجاج في القرآن من أهم خصائصه الأسلوبية، جامعة منوبة، منشورات كلية الآداب، سلسلة لسانيات، مج،13، تونس، تونس، ص27.

3-صلاح فضل،بلاغة الخطاب وعلم النص،ص32.

وهي استمالة المتلقي لما يعرض عي، وأن يجعل العقول تذعن لما يطرح عليها و أن يزيد في درجة إذعانها باعتماد و سائل التأثير في عواطفه و خيالاته وإقناعه.

كما أن بيرلمان أولى عناصر الحجاج أهمية خاصة في إنشائه لنظرية الحجاج التي لا تكتف بالأساليب اللغوية بل تولي اهتماما بالظروف الخارجية التي لا تتعلق بكل من المخاطب و المقام خاصة لأن نظرية البرهان عند بيرمان لـ«بحث سبل التأثير عبر الخطاب بشكل فعال في الأشخاصو يكون الحجاج عنده عبارة عن تصور معين لقراءة الواقع اعتمادا على بعض المعطيات الخاصة،بكل من الحجاج و المقام الذي ينجب هذا الخطاب»[1]، ويربط وجود المعنى بالسامع الذيلولاه لما كان حجاجا أصلا.

و في سياق حديثه عن وجود آليات تعمل على تحويل المقصود بين الفعل و تغيره حسب المقام و«يربط بيرلمان الحجاج بعوامل لغوية تتمثل في الوضوح و عوامل غير لغوية (نفسية اجتماعية) تتمثل في الاحترام و الوعي بظروف مختلف الأصعدة السياسية والاجتماعية من خلال الملامح الآتية.

- أن يتوجه إلى المستمع.
- أن يعبر عنه بلغة طبيعية.
- مسلمات لا تعد أن تكون احتمالية.
- لا يفتقر تقدمه إلى ضرورة منطقية،بمعنى الكلمة ليت نتائجه ملزمة وإلا فقد الحجاج أثره و فاعليته»[2].

2-عند ديكرو "Ducort"

«صار الحجاج عند أونكومبر" Encombre " وديكور" Ducort " يعالج في إطار لساني محض وذلك من خلال كتابهما الحجاج في اللغةويجعلان الحجاج كامنا في اللغة ذاتها لا فيما يمكن أن ينطوي عليه الخطاب»[3].

1- محمد سالم ولد محمد،مفهوم الحجاج عند بيرلمان و تطوره في البلاغة المعاصرة،الكويت،الكويت، 2000م،ص61.

2-المرجع السابق، ص61.

3- عبد الله صولة،المرجع السابق،ص33.

فالحديث في الحياة اليومية مثلا في أبسط صورة يجعل المتكلم في سعي إلى التأثير في أفكار و معتقدات المستمع فيعمل على إقناعه،وتعزيزه وحضه على قول شيء أو القيام بفعل دون أن يضطر للظهور بوجه المقنع أوالمحرك.

ويهتمديكوربتأكيده على العلاقة الوطيدة بين قوانين الخطاب والحجاج،هذه القوانين تتدخل في تحديد المحتويات الحجاجية حيث تكمن وظيفة قوانين الخطاب في تحديد معالم الدلالات الحجاجية.

فالإخبارية من قوانين الخطاب لكنها ثانوية في الحجاج وتتدخل في آراءوسلوكات المتكلم أو المستمعين عن طريق التأثير فيهم،وذلك بحملهم على الوصول إلى الأمر الذي يقصده المتكلم من إن الحديث عن الحجاج في اللغة هو حديث عن نمط من العمليات التخاطبية التي تدخل ضمن تفسيرنا للغة على أساس كونها نشاطا كل هي تتحقق في الواقع ضمن معطيات معينة في السياق.

و الخطاب كما يذهب إلى ذلك ديكور وانسكومبر ليس فقط وسيلة إخبارية تكمن غايتها في التأثير على الغير.

ويورد ديكور المثال التالي « نقول عن المتكلم أنه يقوم بحجاج،حينما يقدم القول ق1، وغايته في ذلك حمل المستمع على الاعتراف بقول ق2، لكن هذه عملية اعتراف الباحثين لا تتم ببساطة فليس بمجرد التلفظ بقول معين ق1،نكون قد حملنا المخاطب على استنتاج ق2 بسبب تدخل عوامل لغوية و غير لغوية في التحديد الحقيقي للدلالات»[1].

للتدليل علىأن هذه التسلسلات الحجاجية تجعل المتلقي يقوم بعمليات استنتاجية معقدة للوصول إلى قصد المتكلم وفهمه،و مدى وجود إمكانية الاذغان لما يقول من خلال التمعن في كلامه،والذي إن أنتج مجرد التعاطف أو التغيير الدقيق على أفعال المتلقي يعد قد قام بفعل الإقناع من خلال الحجة التي قدمها و التي أدت بالمتلقي لسلسلة الاستنتاجات المعقدة.

1- عمر بالخير،تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية،منشورات الاختلاف ،الجزائر،ط1، 2003م، ص212.

ب- الحجاج عند العرب:

1- لـــــغة:

جاء في لسان العرب:«حاججته أحاجهُ حجاجًا حتى حاججتهأي غلبته بالحجةالتي أدليت بها...وحاجة محاجة وحجاجًا نازعه الحجة والدليل والبرهان»[1].

بهذا يكون الحجاج هو النزاع و الغلبة باستعمال الحجج و البراهين و الأدلة و في قول ابن منظور«رجلمحاجج أي جدل»[2].

يجعل الحجاج مرادفا للجدل الذي هو:« مقابلة الحجة بالحجة و اللدد في الخصومة والقدرة عليها»[3].

ويظهر جليا أن الحجاج مرادف للجدل من جانب انطلاقهما من الخصومةوالقدرة على استعمال الحجج،ومن أجل غلبة الخصم والتفوق عليه.

2-اصطـلاحا:

تطور المفهوم الاصطلاحي حسب تعرض المهتمين به لماهيته في مختلفالعصور، ففي البلاغة العربية نجد الجاحظ(ت255هـ) قدم للحجاج على أنه البيانويرى:«أنمدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام فبأي شيء بلغت الإفهام و أوضحت عن المعنى،فذلك هو البيان في ذلك الموضع»[4].

1- ابن منظور لسان العرب ،دار المعارف القاهرة،مصر،1119م،ص228.

2- ابن منظور، المرجع السابق، ص105.

3- ابن منظور، المرجع نفسه، ص105.

4- الجاحظ، البيان والتبيين،ص95.

ويوضح مفهوم البلاغة والبيان مستشهدا بما لدى الهنود إذ يقول:«أول البلاغة اجتماع آلة البيان،وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش ،ساكن الجوارح،قليل اللحظ، متخير اللفظ،لا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة ولا الملوك بكلام السوقة»[1].

«فالحجاج يتم عند الجاحظ بإفهام القائل السامع المعنى الذي يقصده بوضوح بمراعاة مقامات المتكلمين و المستمعين المتفاوتة»[2].

ويقسم البيان إلى ثلاثة وظائف هي:

- الوظيفة الإخبارية المعرفية التعليمية(حالة حياد)،إظهار الأمر علىوجه الإخبار قصد الإفهام.
- الوظيفة التأثيرية(حالة الاختلاف)؛ تقديم الأمر على وجه الاستمالة وجلب القلوب.
- الوظيفة الحجاجية (حالة خصام) إظهار الأمر على وجه الاحتجاج و الاضطرار.

وهذه الوظائف تشكل جوهر النظرية التداولية في الدراسات المعاصرة باعتبارها مقاربة تهتم بالتواصل بالدرجة الأولى والإقناع والتأثير وإيصال المعنى وتقديم الفائدة،ومنها فإن غايتها منفعية بحتة.

وفي سياق إيلاء أهمية بالغة للمقام في الفهم و الإفهام،يقول بلال العسكري:«فإذا كان موضوع الكلام على الإفهام فالواجب أن تقسم طبقات الكلام على طبقات الناس،فيخاطب السوقي بكلام السوقة ما يعرفه إلىالبدوي بكلام البدو،ويتجاوز بهما لا يعرفه،فتذهب فائدة الكلام و تعدم منفعة الخطاب»[3].

ويضعه ابن وهب (ت110) تحت تسمية الجدل«وأما الجدل والمجادلة فهما قول يقصد به إقامة الحجة فيما اختلف فيه من اعتقاد المتجادلين و يستعمل في المذاهب والديانات وفي

1-المرجع السابق،ص76.

2- راضية خفيف بوبكري،التداولية وتحليل الخطاب، (مجلة) الموقف الأدبي،العدد399،تموز2004م،ص3.

3- ابو هلال العسكري، الصناعتين، ص35.

الحقوق والخصومات والتوسل في الإعتذاريات يدخل في الشعر وفي النثر يحق له الاعتراض عليها»[1].

أما في التقاليد الغربية فقد كان اهتمام أرسطو ت(322ق.م) منصبا على فنونالكلام،ولاسيما الخطابة والشعر منها ولذلك نجده ممن نظر لهما وأرسى قواعدهاالفنية والعقلية،التي صارت فيما بعد منهجا اتبعه من جاء بعده ففي كتابه الخطابة اهتم بالإقناع و أدواته إذ جعله بؤرة الخطابة نجد أن الحجاج ارتبط بالبلاغة سواء أكان في الفكر العربي عند الجاحظ أو أبي هلال العسكري،أو في الفكرالغربي القديم عند أرسطو مثلا الذي اهتم بالإقناع الخطاب في تنظيره لبلاغة الخطابة.

وقد اهتم اليونانيون القدامى بفنون الكلام خاصة الخطابة والشعر والمناظرة لأنها فنون يظهر فيها الإقناع و تطبيق ما يسمونه بالجدل لذلك نجد أن فلاسفتهم أرسوا المبادئ الأساسية للقيام بهذه الأنشطة و القواعد الفنية و العقلية، التي اعتمد عليها الفكر الحديث والمعاصر في تأطير النظريات المعاصرة و قد ربط أرسطو بين خاصة الكلام و التعبير عند الإنسان و بين الإقناع، «فالإنسان لأنه يتكلم معبر يبحث بطبعه عند الإقناع و يحاول أن يصل بكلامه إلى إقناع أكبر عدد ممكن من الناس بوسائل مستمدة من التفكير»[2].

ويجد أن الخطابة والجدل متصلان ببعضهما ويتحدان في موضوعاتهما «لأنها أمور يمارسها كل الناس و يعرفها في صورها المتحدة على الأقل»[3].

1- ابن وهب ،البرهان في وجوه البيان ،ت.حفني محمد شرف، مطبعة الرسالة،عابدين، مصر،د.ط، ص176.

2- أرسطو طاليس ،الخطابة،تح عبد الرحمن بدوي،دارالقلم،بيروت،لبنان،د.ط،1976م،ص9.

3-المرجع السابق،ص9.

3- الكفاءة التداولية:

التواصل مفهوم شاسع وفضفاض، إنه على درجة من الرحابة بحيث يعسر انضباط هو لا يكاد يتأتى الإمساك به، فهو متعدد المظاهر والتجليات، ومتعدد الأبعاد ،ومتعدد الأنسقة وهو فوق كل ذلك مبثوث في كل مناحي الحياة، وبين كائنات تختلف لذا فإنه إذ يطلق تعدد دلالات هو لا تكاد تنحصر إلا أنه على ذلك، ورغم أنه يمكن الحديث عن تواصل حيواني كما يمكن أيضا الحديث عن تواصل آلي،فإن الذي عليها لإجماع هو ألا تواصل على نفس القدر من الكفاءة والكثافة والغنى الذي للتواصل الإنساني ،إنه أسمى الأنواع؛ فبالقدرة الفائقة على التواصل استوى الإنسان كائنا متميزا فاوت الكائنات الأخرى فكان الأرقى.ومن أجل أهميته فإن سؤاله ظل دوما يحظى براهنية متميزة لأن إشكالاته لا تنئ تنزل في كل آن.

وأفراد الناس إذ يكون التواصل أحد خصائصهم فإن بداهة الظاهرة غالبا ما تجعلهم يغفلون عن الالتفات إليها والتساؤل بشأنها،إن ُالملاحظ أن جلهم يأتون الأنشطة التواصلية دونما وعيب ما يقوم ونبه حاَلتها، خاصة إذ تتكلل محاولتهم بالنجاح .إن التساؤل حول الفعل التواصلي والإشكالات التي يطرحها لايجد مبرره والباعث عليه إلا حين تفضي المحاولة إلى الفشل، وبوجه خاص إذ يكون الفشل ذريعا، حينئذ ينبث قال سؤال عن أسباب قياما لتواصل ونجاحه، والعوائق التي يمكن أن تحول دون ذلك، وربما كان القصد إلى تجاوز هذه العوائق لغاية تحقيق فعالية تواصلية ناجعة أقوى مسوغات الاهتمام بالظاهرة والبحث

فيها في مستواها التفاعلي،حيث التواصل يمكن اعتباره من أهم محركات الفعل الإنساني بشكل عام.

فإن الكفاءة التداولية مكونا فعالا ضمن تكوين الإنسان السويّ، تماما كما هي كفاءته اللغوية، بيدا أن الكفاءة التداولية ليست نسقا بسيط، بل هي أنساق متعددة متآلفة إذ «القدرة التواصلية لدى مستعمل اللغة الطبيعية من خمس ملكات على الأقل، وهي: الملكة اللغوية والملكة التواصلية والملكة المنطقية والملكة المعرفية والملكة الإدراكية والملكة الاجتماعية.

ويعرفلسيموندايكهذه الملكات الخمس على النحو التالي:

- الملكة اللغوية: يستطيع مستعمل اللغة الطبيعية من أن ينتج و يؤول إنتاجا وتأويلا صحيحين، عبارات لغوية ذات بنيات متنوعة جدا و معقدة في عدد كبير من المواقف التواصلية المختلفة.
- الملكة المنطقية: بإمكان مستعمل اللغة الطبيعية، على اعتباره مزودا بمعارف معينة، أن يشتق معارف بواسطة قواعد استدلال تحكمها مبادئ المنطق الاستنباطي والمنطق الاحتمالي.
- الملكة المعرفية: يستطيع مستعمل اللغة الطبيعية أن يكوّن رصيدا من المعارف المنظمة و يستطيع أن يشق معارف من العبارات اللغوية، وكما يستطيع أن يختزن هذه المعارف في الشكل المطلوب، وأن يستحضرها لاستعمالها في تأويل العبارات اللغوية.
- الملكة الإدراكية: يتمكن مستعمل اللغة الطبيعية من أن يدرك محيطه وأن يشتقمن إدراكه ذلك معارف، وأن يستعمل هذه المعارف في إنتاج العبارات اللغويةو تأويلها.
- الملكة الإجتماعية: لا يعرف مستعمل اللغة الطبيعية ما يقوله فحسب بل يعرف كذلك كيف يقول ذلك لمخاطب معين في موقف تواصلي معين: قصد تحقيقي هداف تواصلية معينة»[1].

1- ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص57

و يقترح على أساس هذا التصور للقدرة التواصلية أن يصاغ نموذج مستعمل اللغة الطبيعية في شكل جهاز يتكون في خمس قوالب، وعليه فإن كل ملكة من الملكات الخمس تختص بقالب ينتمي إليها.

وهذا ما يذهب إليه أحمد المتوكل تبعا لسيمون دايك: «إذ يقسم هذه القوالب إلى فئتين هما قوالب آلات و قوالب مخازن، تضم الفئة الأولى القالبين النحوي و المنطقي...في حين تضم الفئة الثانية القالب المعرفي و القالب الإدراكي والقالب الاجتماعي»[1].

و تتظافر هذه القوالب لإنتاج الخطاب وهو ما تصنعه الكفاءة التداولية، إذ يتبلور فيها عملية استثمار تلك الملكات بوصفها عناصر مكونة لها.

فالكفاءة اللغوية لا تنهض لوحدها بعملية التواصل المناسب للسياق بالرغم من كونها أساسا فيه، و ذلك لأن الكفاءة التداولية هي التي تستثمر تلك القوالب الكامنة في ذهن الإنسان بما في ذلك كفاءته اللغوية بما تفرضه من قوانين حسب مظاهر السياق.

«والكفاءة التداولية هي التي تمدنا بالاطمئنان إلى أن نعم هي الإجابة المناسبة عن السؤال: أأنت موظف في السفارة الموريتانية في الرياض؟

بينما لا تعدّها الإجابة المناسبة على سؤال مثل هل تستطيع أن تحمل حقيبتي؟

وذلك تعويلا على أن المرسل تلفظ بهذا الخطاب بوصفه طلبا لا سؤالا عن قدرة المرسل إليه الجسدية، وتعويلا على أن المتكلم عادة ينطلق في بناء خطابه من مقومات مقامية كثيرة و بالتالي يعدل عن الأسلوب المباشر الذي يعبر عن القصد»[2].

و تتأصل الكفاءة التداولية عند الإنسان بنموها نموا طبيعيا كما تنمو كفاءته اللغوية بل إن نموهما متكامل، مع تفاوت في نضج كل عنصر من عناصرها إذ تتوقّع للقالب، الإدراكي

1-أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، منشورات الجمعية للتأليف والترجمة والنشر، الدار البيضاء، المغرب، المغرب، ط1، 1985م، ص93.

2-ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص59.

قبل نضج القالب الاجتماعي و نضج هذا القالب الأخير قبل نضج القالب المنطقي والدليل على ذلك ما يمتلكه الطفل من قدرة على إنتاج الخطاب في سياق التخاطب اليومي.

و نمو قوالب هذه الكفاءة عند الطفل مثلا يستتبع تغيّرافي خطاباته، إذ تتطور مع تقدم سنه حتى تشتدّ كفاءته التداولية.

وكون عملية الخطاب تعتمد على كفاءة الإنسان التداولية و صناعتها لخطابه فإنه يلمس التفاوت بين الناس في خطاباتهم كما يقول الجرجاني: «يتضح ذلك عند قصورالبعض في التعبير عن قصده، أو دون تحقيق أهدافه فقد يخفق أحدهم في حين يوفق غيره مع تماثل في بعض عناصر السياق أو تشابه»[1].

وتتضح كفاءة البعض في خطابات الشرح و التوضيح و إقامة الحجاج و التبرير في حين تعوزه الحيلة و يقف عاجزا عند محاولة الدفاع عن نفسه في أبسط المواقف.

و مرد ذلك إلى أن الخطاب في قسمه الأكبر كلام إلا أنه كلام يجري مجرى الفعل و الكلام بهذا الاعتبار عمل ماهر حسب تعبير هالسون: «لأنه يتطلب مجهودًا و تعتمد درجة النجاح و التوفيق فيه على قدر الجهد المبذول و هو عمل ماهر لأنه يتطلب معرفة نظرية، و يعتمد النجاح في ذلك على درجة المران الذي حصل عليه الفرد و بهذا... يمكننا القول بأن الكلام قد يكون أكثر نجاحا في بعض الأحيان عنه في أحيان أخرى و قد يتقنه بعض الناس أكثر من بعض»[2].

وهذا هو الفرق بين الملكة و الصناعة عند ابن خلدون إذ يرى: « أن اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة إذ هي ملكات في اللسان للعبارة عند المعاني و جودتها و قصورها بحسب تمام الملكة أن نقصنها، و ليس ذلك بالنظر إلى المفردات و إنما هو بالنظر إلى التراكيب، فإذا حصلت الملكة التامة في تركيب الألفاظ المفردة للتعبير بها عن المعاني المقصودة و

1- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، شرح.عبد المنعم خفاجي، تح.محمد رضوان مهنا، مكتبة الإيمان، المنصورة، القاهرة، مصر، د.ت، ص125.

2- B.J.Haslett. communicatiation.(startiegic action in context). ibid. p 3 عن ظافر الشهري،المرجعالسابق، ص 59.

مراعاة التأليف الذي يطبق الكلام على مقتضى الحال بلغ المتكلم حينئذ الغاية من إفادة مقصوده للسامع و هذا هو معنى البلاغة»[1].

والإحساس بهذا القصور هو ما يجعل الناسيلجؤون إلى محاولة تحسين كفاءاتهم التداولية، وذلك عن طريق الاكتساب والممارسة بل التعلم أحيانا إيمانا منهم بما لها من دور فاعل في السياقات الاجتماعية التي يتفاعلون فيها مع غيرهم.

4- القصدية التداولية:

لقد شكلت نظرية أفعال الكلام محور التداولية في درجتها الثالثة حيث درسها أوستين Austin.J ومنحها صيغة نموذجية و عمل على تعميقها بعد ذلك تلميذه سيرل، وقد اهتمت هذه النظرية في لب فلسفتها الدلالية بالمضامين و المقاصد التواصلية.

«إن مفهوم القصدية Intentionnalité في فهم كلام المتكلم و تحليل العبارات اللغوية، مبدأ أخذ به فلاسفة نظرية الاستعمال في معنى (فنجنشتاين، أوستين، جرايس، سيرل)، الذين أعطوا المتكلمين ومقاصدهم مكانة محورية عند تفسير المعنى على خلاف النظريات الصورية للغة»[2].

فمنذ البدء أدرك الكثير من اللغويين وجود توتر دائم بين الألفاظوالمقاصد، وبين السعي إلى بناء نحو كلي والتعبير عن الحياة بلغة ذاتية، وإن« مصدر التوتر هو أن اللغة ذات وجود مجرد، ما دامت في خدمة الجماعة، بينما تتخطى فنون التعبير بقيمة شخصية ما

1- بيار أشار، سيميوليجياللغة،ت. بد الوهاب تزو، منشورات عويدات،بيروت.لبنان، ط1، 1996م، ص11.

2- النظرية القصدية في المعنى عند جرايس، ص1.

دامت في خدمة الفرد...، لذا يجب التراجع عن دراسة اللغة كبنية و دراستها كتراث من أجل اختزالها إلى الأفعال القصدية، فالمتكلم يريد تحقيق مسعى معين أي أنه يقصد شيئا بكلامه، و حينما .....القارئ و السامع على مراد المتكلم يكون قد توصل إلى فهم لغته، فالمفردات المجردة على القصد مجرد لغو، و تظهر القيمة النفسية للغة في فعل القول»[1].

و حتى نتعرف على المقاصد التي ينطوي تحتها فعل القول، علينا الإلمام بالمعنى الدقيق لمصطلح القصد.

أ- المفهوم الغربي لمصطلح القصدية :

القصدية مصطلح أوجده الدارسون في العصرالوسيط وهو «مشتق من الكلمة اللاتينيةIntendo أوIntentio بمعنى الشد و المد أو التوجه نحو»[2].

كما ترجمت Intento إلى الإنجليزية على أنها Intentionكما للدلالة على القصد العادي بمعناه العادي»[3].

لكن الفلاسفة المتأخرين في القرنين الثالث عشر و الرابع عشر استخدموا الفعل Intendo كمصطلح فني يدل على المفهوم Concept، و كان هذا المصطلح الفني ترجمة أخرى لمصطلحين عربيين هما: «المعقول Maqul و Mana الشيء الموجود أمام العقل في

1- حكيم بناني، الظاهرتية و فلسفة اللغة،(تطور مباحث الدلالة في الفلسفة المنمساوية)، إفريقيا الشرق، بيروت، لبنان، 2003م،ص23.

2- صلاح اسماعيل، فلسفة العقل،(دراسة في فلسفة سيرل)، دار قباء، القاهرة، مصر،2007م،ص 169.

3-المرجع السابق، ص169.

التفكير، فالأول Maqul ترجمة الفرابي عن الكلمة اليونانية Noema، و الثانيMana من وضع ابن سينا»[1].

منــه يمكــن القــول أن المصــطلحات Intendo، Mana،Maqul ،Noema مترادفــات تستعمل جميعها للدلالـة علـى الأفكـار و المفـاهيم أو أمـام أي شـيء كـائن أمـام العقـل فـي التفكير.

ثم اتبع فلاسفة العصور الوسطى الفرابيفي التفريق بين المقاصد الأولى والمقاصد الثانية فهي المفاهيم التي تتعلق بالمقاصد الأولى، ثم طور هؤلاء الفلاسفة في نظريات حول ارتباط المقاصـد بالأشـياء المعنيـة، و رأوا بـأن المقاصـد الثانيـة تشـكل موضـوعات المنطـق، كمـا استفادوا من نظرية أرسطو «حول إدراك الشيء من غير استقبال لمادته، فعندما أفكر في طاولـة توجد صـورة الطاولـة فـي عقلـي، لكـن وجودهـا فـي عقلـي يختلـف وجودهـا فـي الواقـع الخارج، ففي الطاولة الواقعية، صورة الطاولة لها وجود في الطبيعة و لكن في فكرتي عن الطاولة، صورة الطاولة لها وجود قصدي»[2].

لذلك تستخدم القصدية « للدلالة على توجه الوعي نحو موضوعه أو نمط العلاقة التي تربط الوعي بمضمون ظاهرة ما»[3].

تعرف علـى أنهـا قـدرة العقـل فـي توجيهـه ذاتـه نحـو الأشـياء و تمثيلهـا، و هـي« خاصـية مميزة للعقل يتجه من خلالها إلى أشياء من العالم الخارجي ويتعقل بها. و تكون الحالات العقلية قصدية لأنها تكون حول شيء ما»[4].

ب- المفهوم العربي لمصطلح القصدية :

1-المرجع نفسه، ص169.

2-حكيم بناني، الظاهرتية و فلسفة اللغة،(تطور مباحث الدلالة في الفلسفة النمساوية)، ص41.

3-صلاح اسماعيل، فلسفة العقل،(دراسة في فلسفة سيرل)، ص151.

4- المرجع السابق، ص150.

منذ البدء أدرك كثير من اللغويين «وجود توتر دائم بين الألفاظ و المقاصد وبين السعي إلى بناء نحو كلي والتعبير بلغة ذاتية عن الحياة الباطنية، مصدر التوتر هو أن اللغة ذات وجود مجرد، مادامت في خدمة الجماعة، بينما تحظى فنون التعبير بقيمة شخصية مادامت في خدمة الفرد... لذا يجب التراجع عن دراسة اللغة كبنية، وعن دراستها كتراث من أجل اختزالها إلى الأفعال القصدية، فالمتكلم يريد تحقيق مسعى معين، أي أنه يقصد شيئا بكلامه، و حينما يتعرف القارئ و السامع عن مراد المتكلم يكون قد توصل إلى فهم لغته، فالمفردات المجردة عن القصد مجرد لغو، وتظهر القيمة النفسية للغة في فعل القصد»[1].

«القصدية أو المقصدية من قصد، القصد، استقامة الطريق، يقول الله جل وعلا: ﴿وَعَلَى اللهِ قَصْدُ السَبِيلِ﴾النحل،6»[2]، أي على الله تبين الطريق المستقيم و الدعاء إليه بالدعاء و البراهين الواضحة.

يرى ابن جني أن«...أصل (ق.ص.د) وموقعها من كلام العرب الاعتزام والتوجه و النهوض نحو الشيء على اعتدال، هذا أصله في الحقيقة يخص بعض المواضيع، يقصد

الاستقامة دون الميل، ألا تقصد أن تقصد الجور تارة كما تقصد العدل تارة أخربفالاعتزام و التوجه شامل لهما جميعا»[3].

و العملية القصدية تفترض طرفين إنسانيين،مرسلا، ومتلقيا بيد أن المقاصد أنواع: « أوليّ يتحلى في المعتقدات و الرغبات التي تكون لدى المتكلم، وثانويّ يكون فيما يعرفه المتلقي من مقاصد المتكلم، و ثلاثي ينعكس في هدف المتكلم الذي يريد أن يجعل المتلقي يعترف بأنه يرد جوابا ملائما»[4].

1-حكيم بناني، الظاهراتية و فلسفة اللغة، ص28

2- ابن منظور، لسان العرب، ص253.

3- ابن منظور، لسان العرب، ص ص253،254.

4- محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، (إستراتيجية التناص)، ط3،المركز الثقافي العربي، ص164.

وللقصد مكانة بارزة في الدرس البلاغي، و الدرس العربي عموما على تعدد مناحيه، حتى أنه أساس عملية التواصل و الإبلاغ، و يقوم عليه تمييز المتكلم فيها، فلا يعّد مكلما له ما لم يقصد. وهم لا يختلفون عن النحاة، حيث إن فائدة الكلام عندهم مرتبطة بالقصد.

ويتحدد القصد في موضع آخر في التمييز بين أحوال خطابيّة مختلفة للمتكلم الواحد، فالمتكلم الحاكي يجب أن يقصد الحكاية دون الفائدة، و لذلك لا يكون كاذبا إذا كان المحكيّ كذبا. «وبذلك يعد القصد أحد أهم الأسس التي يقوم عليها الاتجاه المقامي في دراسة اللغة عند العرب، ذلك أن المتكلم لا يعد كذلك إلا إذا كان لكلامه قصد. وهو في نظر الأصوليين محدد عنده و ثابت لا يتغيّر»[1].

كما شدد ابن القيم على ضرورة الأخذ بقصد الكلام، في حديثه عن تعليق الطلاق قائلا:«وهذا الذي قلناه في اعتبار النيات والمقاصد في الألفاظ، و أنها لا تلزم بها أحكامها حتى يكون المتكلم قاصدا لها مريدا لموجباتها، كما أنه لا بد أن يكون قاصدا للتكلم باللفظ مريدا له، فلا بد من إرادتين: إرادة التكلم باللفظ اختيارا، وإرادة موجبه ومقتضاه، بل إرادة اللفظ، فإنه المقصود و اللفظ وسيلة»[2]

و للقصد عموما مفهوم تداولي يرتبط أساسا باستعمال اللغة، يقول المسديوهو يقدم لمسألة المواضعة في اللغة و القصد في التراث العربي «القصد هو في كل لحظة من لحظات استعمال اللغة قصد لفائدة معينة طبقا لسنن المواضعة العامة في جهاز تلك اللغة، مع تكريس مظهر من مظاهرهاالعملية في الممارسة...»[3].

1- محمود نخلة، آفاق جديدة في الدرس اللغوي المعاصر ،ص89.

2- ابن القيم، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان،1987 م، ج3، ص75.

3) عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص146.

الفـصل الثانـي:

مـــلامح الـــتداولية

فـي صحيفة بشر بن المعتمر

الفصل الثاني: ملامح التداولية في صحيفة بشر ابن المعتمر.

مدخل:

1- لمحة عن صحيفة بشر ابن المعتمر.

2- الأشكال التداولية في البلاغة العربية.

المبحث الأول: ملامح القصدية التداولية في صحيفة بشر بن المعتمر.

1- قصدية المخاطب في صحيفة بشر ابن المعتمر.

2- قصدية السياق في صحيفة بشر ابن المعتمر.

المبحث الثاني: ملامح الكفاءة التداولية في صحيفة بشر ابن المعتمر.

1- الكفاءة اللغوية في صحيفة بشر ابن المعتمر.

2- الكفاءة المقامية في صحيفة بشر ابن المعتمر.

مدخل:

بعد أن اهتم الفصل الأول بجملة من التعاريف والعناصر التي وضحت لنا الصورة العامة لموضوع اللسانيات التداولية، وقيمة هذا المنهج في دراسة النصوص الأدبية وتبيان الأساليب اللغوية التي تنطوي خلف هذه النصوص، أردفنا هذا الفصل الثاني حتي نستخرج هذه الأساليب اللغوية والمقاصد الخطابية، مستعينين بمتن صحيفة نقدية من تحبير بشر ابن المعتمر، والتي أوردها الجاحظ في كتاب البيان والتبيين.

1-لمحة عن صحيفة بشر بن المعتمر.

لقد أورد الجاحظ في كتابه البيان والتبيين صحيفة بشر بن المعتمر في أصول البلاغة، ضمنها نصائح للكتاب، واستعرض فيها آلات الكتابة وما ينبغي أن يفعله الكاتب حتى يحسن فعل القول.

وهي صحيفة أخرجها من جيبه قصيرة الطول، لغتها فصيحة واضحة عباراتها قصيرة مختصرة.

وكما يبدو أن طبيعة البيئة التعليمية في القرنين الثاني والثالث الهجريين هي التي كانت وراء تأليفها، فقد أصبح الاهتمام بالخطابة، و تعلم أصول القول و فن الكلام أمرا مهما، وأصبحت مسائله تطرح في المجالس و حلقات الدرس، ويقوم عليها معلمونومربون يحاولوا أن يوجهوا طلابهم لهذه الغاية التعليمية و يكتشفوا قابليتهم الأدبيةومواهبهم الفنية.

وقد أعد بشر صحيفته لهذه الغاية التعليمية، و يبدوا أن المنافسة كانت شديدة وكان كل معلم يحاول أن يضم إلى مجلسه أكبر عدد من الطلاب و المؤيدين، ومن لذلك كان طبيعيا ينموا النظر في بلاغة الكلام و أن تكثر الملاحظات المتصلة بحسن البيان.

وهكذا أصبحت صناعة الخطابة تحتاج إلى تعلم و درس، ولم تعد كلاما يجري به الطبع، و تتدفق به العاطفة، أصبحت كلاما منتظما ذا أصول و قواعد،و كان المعتزلة أكثر الطوائف عناية بقضية الخطابة و استنباط أصولها لما كان لها من أهمية عنهم.

وبشر بن المعتمر ممن اتجه إلى هذه الناحية و عني بها، وكتب في أمور الخطابة و البيانوهي صحيفة نقدية قيمة تعد من أهم بذور البحث البلاغي.

ولا يفوتنا قبل الدخول في موضوع الصحيفة أن نذكر شيئا عن "بشر بن المعتمر" وعن حياته: هو« بشر بن المعتمر الهلالي البغدادي بن سهل فقيه معتزلي من أهل الكوفة تنسب إليه الطائفة البشرية انفرد عن أصحابه في بعض المسائل، و قد عرف براجحة الرأي وإليه تنسب بعض نصوص الشعر التعليمي وله آراء في الخطابة والبلاغة، ومن آثاره هذه الصحيفة التي اشتملت على كثير من التوجيهات النقدية الصائبة... توفي سنة 210 هـ/825 م»[1].

1-مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، راجعه. عبد الله المنشاوي، مكتبة الإيمان ج2، ط1، المنصورة، مصر، 1417 هـ 1998م، ص 118.

2-الأشكال التداولية في البلاغة العربية:

من أهم العلوم المكتملة في الدرس العربي القديم، البلاغة إذ تمثل علم الاتصال يتناول كل ما يرتبط باستعمال اللغة و ممارستها.

حيث تعد البلاغة أحسن ما يتناوله إبراز العلاقات التداولية في اللغة، لأنها تهتم بدراسة التعبير على مختلف مستوياته: اللفظية و التركيبية و الدلالية، والعلاقات القائمة بينها.

وإذا كانت التداولية في أوجز تعريفاتها، هي دراسة مناحي الكلام، أو دراسة اللغة حين الاستعمال، «فإن البلاغة هي المعرفة باللغة أثناء استعمالها»[1].

كما أن هناك بعض الدارسين المحدثين ممن لم يفرقوا بين التداولية و البلاغة إذ يرى ليتشأن:«البلاغة تداولية في صميمها إذ أنها ممارسة الاتصال بين المتكلم و السامع»[2].'Leitch' ولا يميز محمد العمريبينهما: يقول:« وحديثا يعاد الاعتبار إلى البلاغة العربية في الدراسات السيميائية تحت عنوان جديد: التداولية»[3].

ومما تعرف به البلاغة حديثا أنها لسانيات ذهنية عامة، بوصفها تأملا في اللغة والفكر ذلك أنها تنظر إلى اللغة نظرة متكاملة لا يستقل فيها الشكل عن المضمون، ولا المعنى عن ظروف الاتصال ومقاصد المتكلمين، وقد تناول الدارسون حديثا العلاقة بين البلاغة و الاتصال و انطلاقا من أن البلاغة من الإبلاغ، وهذا لا يختلف عن مفهوم الاتصال الذي هو إبلاغ أيضا، يقول تمام حسان«وعندي أن المعنى اللغوي للفظ البلاغة فرع على معنى(الإبلاغ)، أوالتواصل الذي هو موضوع من موضوعات علم الاتصال»[4].

1- صلاح فضل، بلاغة الخطاب و علم النص، الشركة المصرية العالمية،إشراف. محمود مكي علي، ط1، 1986م، ص20.

2- المرجع السابق، ص 124.

3- محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، دراسة تحليلية نقدية، بيروت،لبنان، ط6، 2000م، ص20.

4-تمام حسان،المصطلح البلاغي القديم في ضوء البلاغة العربية الحديثة،(مقال)، مجلة فصول، مج7، ع 3و4، أفريل، سبتمبر، 1987م، ص87.

وكذلك فعل كثير من الدارسين، حيث لم يميزوا بين البلاغة العربية و بعض الاتجاهات الحديثة فاللسانيات، على نحوها فعل صلاح فضل عندما ربط بين مقتضى الحال و التداولية قائلا: «و يأتي مفهوم التداولية هذا ليغطي بطريقة منهجية منظمة المساحة التي يشار إليها في البلاغة العربية بمقتضى الحال، وهي التي أنتجت المقولة الشهيرة في البلاغة العربية (لكل مقام مقال)»[1].

و إذا أشرنا إلى الدلالة اللغوية(بلغ)، وأصل استخدامها فقد ذكر أبو هلال العسكري أن:«البلاغة في قولهم بلغت الغاية...إذ انتهيت إليها و بلغتها غيري، الشيء منتهاه،... فسميت البلاغة بلاغة لأنها تنهي المعنى إلى قلب السامع، و يقال الدنيا بلاغ، لأنها تؤديك إلى الآخرة، والبلاغ أيضا التبليغ وفي قوله تعالى:"هذا بلاغ للناس"إبراهيم، آية 52، أي تبليغ»[2].

فالدلالة العامة لها هي الانتهاء، الوصول و الإبلاغ، إذ أنها لا تختلف عن مفهوم الاتصال والإبلاغ و تتجاوز معنى الإبلاغ إلى التأثير في المتلقي، وهذه الدلالة اللغوية لا تختلف عن مفهومها الاصطلاحي عند علماء العربية و تتحدد في الوصول و الانتهاء عند نفوس المتخاطبين. فهي تقوم أي(البلاغة) على مبدأ الاتصال، واستخدام اللغة استخداما سليما ، يضمن وصول المعاني إلى المتخاطبين كما هي في نفوس المتكلمين بحسب اختلاف أحوالهم و مقاماتهم.

يظهر من خلال هذا العرض، أن من أهم اهتمامات البلاغة العربية ومجالاتها الإيصال والإبلاغ، وتدرس خلال ذلك كثيرا من شروط هذا الإيصال وظروف أدائهمن أحوال مختلفة للمتكلمين، إلى كل ما يرتبط بالمعنى، إلى أقدار السامعين ومنازلهوبهذا المفهوم لها مجالات مشتركة مع ما تتناوله اللسانيات التداولية الحديثة، وتحمل كثيرا من القيم التداولية في دراسة اللغة.

1-صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص 26.

2- أبو هلال العسكري، الصناعتين،ت.علي محمد بجاوي و محمد أبي فضل إبراهيم، المكتبة العصرية صيدا،بيروت،لبنان، 1986م، ص06.

ولنكون أكثر دلالة على أن البلاغة العربية القديمة درست اللغة حال استعمالها وبالنظر إلى كل ما يرتبط بالإبلاغ و التواصل، ومن أجل عرض أهم قضايا البلاغة العربية التي تتشارك في دراستها مع قضايا اللسانيات التداولية.

ومن أجل الإجابة على الإشكالية الأساسية لهذا البحث وهي معرفة كيف اهتم بشر بالبلاغة العربية من وجهة نظر تداولية، اعتمدنا على مقاربتين من مقاربات اللسانيات التداولية هما: القصدية التداولية، والكفاءة التداولية.

المبحث الأول: ملامح القصدية التداولية في صحيفة بشر بن المعتمر.

لقد أورد الجاحظ في كتابه البيان والتبيين صحيفةمنتحبير بشر بنالمعتمر تضمنت مجموعة من الأوصاف والشروط التي تجب للفظ والمعنى والتي بها يستحقان مرتبة الفصاحة والبلاغة، و نحن بصدد التعرف على المقاصد التي تنطوي عليها صحيفة بشر بن المعتمر.

1-قصدية المخاطِب في صحيفة بشر ابن المعتمر.

اهتمت البلاغة العربية القديمة بالمخاطِب، لأنه منتج الخطاب و باعثهولأنه وحده الذي يستطيع تحديد مقاصد الكلام، بل إن الدلالة في كثيرمن الأحيان والحالات مرتبط بما ينويه وما يقصده، وقد تعدد أشكال الاهتمام به بحسب درجة بروزه في عملية الخطاب و بحسب تعدد الموضوعات التي تستدعي ذلك، «حيث يقول القاضي عبد الجبار: إن المكلم لغيره إنما يحصل مكلّما له بأن يقصده بالكلام دون غيره ويكون أمرا له متى قصده بالكلام وأراد منه الأمور منه»[1].

كمااهتمبشر بن المعتمر بشكل كبير بقيمة المخاطب ما له من دور في عملية الاتصال وقدم له مجموعة من الشروط والمواصفات التي يجب أن تتوفر في منتج الخطاب وباعثه، ومن بين المواصفات التي يجب أن تتوفر في المخاطب مما ورد في الصحيفة:

أن يحسن اختيار الوقت المناسب للإبداع كما ورد في قوله:«خذ من نفسك ساعة نشاطك»[2].

وقصدبشرهنا اختيار الزمن المواتي وهو ماعبر عنه بساعة النشاط، وهو بذلك لا يحدد زمنه من ليل ونهار،بل يرتبط بتهيؤ واستعداد النفس للإبداع، وتكون المبادرة فور الإحساس بحضورهما.

1- عن.عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب،بيروت، لبنان، ط1، 1981م، ص146.

2- الجاحظ، البيان والتبيين،ص136.

واختيار ساعة النشاط ذلك هو فراغ البال، وهي حالة من التجرد تزيل الواقع وضجيجه، وتحاول عزله حتى يخلو الذهن لموضوع النشاط، وحالة التجرد هذه أصل كل إبداع، كما تتبين لنا نظرةبشر ابن المعتمر لعدم الإيمان بالإلهام المفاجئ وهو العنصر الذي« يشترك فيه النقاد العرب جميعهم دون استثناء وهذا العنصر قد حدد نظرية العرب في الخلق الفني»[1].

ولكن بشرًا ذكر بعض ما يثير القرائح ويدفع الطبائع لكي تسمح بمكنوناتها، فحددفي صحيفته أوقاتًا يسمح فيها القول، وتجود القريحة، فليس الأديب أو الفنان بقادرعلىالإبداع في كل وقت، ولا يواتيه القول في كل آن.

وهذا ما دل عليه أبو هلال العسكري في قوله: « واعمله ما دمت في شباب نشاطك، فإذا غشيك الفتور وتخونك الملال، فأمسك، فإن كثيرا من الملال قليل، والنفيس من الضجر خسيس، والخواطر كالينابيع، يسقى منها كل شيء بعد شيء، فتجد حاجتك من الريوتناول إربكمن المنفعة، فإذا أكثرت عليها نضب ماؤها و قل عنك غناؤها»[2].

وحديث أبي هلال يدل دلالة واضحة على مبدإ الترفق على النفس في مراودتها العطاء، وإمداد الكلام، فالترفق وقت الضجر والاسترسال وقت النشاط يؤمنان للنثر السلامةولاستقامة والجودة.

وقد أضاف بشر شرط خلو البال لاكتمال التجرد لمهمة الإبداع بحضور الانتباهفي قوله: « وفراغ بالك وإجابتهاإياك»[3].

ومن بين اهتمامات بشر بالمخاطب أيضا أنه قام بوضع تصنيف المؤلفين قائلا:«فكن في ثلاث منازل، فإن أولى الثلاث أن يكون لفظك رشيقا عذبا و فخما سهلا، ويكون معناك ظاهرا مكشوفا وقريبا معروفا»[4]

1- محمد زغلول سلام، تاريخ النقد العربي إلى القرن الرابع هجري، مطلعة أطلس، القاهرة، مصر، 1982م، ص55.
2-أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص123.
3- الجاحظ، البيان والتبيين، ص135.
4- المرجع السابق، ص135.

والمقصود هنا أن الرشاقة ترمز للخفة والسلاسة إذا أن كل لفظ أحرز الرشاقة كان حقا به أن يكون عذبا، فعلى المخاطب أن يكون لفظه سهلا، رشيقا عذبا، وهذه العناصر تؤدي به إلى الإبلاغ الصحيح والإبانة عن المعنى المقصود منه، وهذه هي مرتبة الأديب الحاذق المطبوع، الذي يمتلك الموهبة الحقيقية فيقدم أدبا جيدا، وقولا ساميا رفيعا.

ومن صفات الأديب الحاذق كذلك، ومن مزايا كلامه، أن يكون قادرا على مراعاة نوعية المتلقي سواء كان المتلقي من العامة أو من الخاصة.

أي أنه على الخطيب أن يصوغ كلامه يليق بمستوى فهم السامع، والناس درجات متباينة بين الفهم ومستوى الثقافة، لذلك يجب على الخطيب أن يصوغ أدبه بالأسلوب الذي يمكن أن يفهمه السامع.

ثم اتجه إلى المنزلة الثانية واصفا الشروط التي يجب أن تتوفر في الخطيب الذي يحتل هذه المرتبة« إنك لا تعدم الإجابة والمواتاة، إذ كانت هناك طبيعة، أو جريتمن الصناعة على عرق»[1].

وهذه هي منزلة الخطيب المتوسط ، أوالأديب الذي لا يملك الطبع الفياض أو القدرة الكاملة على العمل الجيد، ونصيحة بشر له أن يتأتى و يتروى في طلب الكلام، فقد لا يسمح له من القول منذ أول وهلة فينبغي عليه أن لا يضجر، وأن يدع الكتابة لبياض يومه، أو سواد ليلته، وأن يعاوده في أوقات نشاطه و فراغ باله فإنه عندئذ لا يعدم الإجابةوالمواتاة.

ويُتم قوله:« فإن تمنع عليك بعد ذلك من غير حادَ شغل عَرَض، ومن غير طول إهمال، فالمنزلة الثالثة من هذه الصناعات إلى أشهى الصناعات إليك و أخفها عليك فإنكلم تشتهه ولم تنازع إليهإلا وبينكما نسب، والشيء لا يحن إلا لما يشاكله، وإن كانت المشاكلة قد تكون في طبقات، لأن النفوس لا تجود بمكنونها مع الرغبة، ولا تسمح بمخزونها مع الرهبة ، كما تجود به مع الشهوة فهذا هذا»[2].

1-الجاحظ، البيان والتبيين، ص138.

2-الجاحظ، البيان والتبيين، ص 138.

«الأجدر بـه أن يـدع هـذه الصـناعة فليسـت منـه و لـيس منهـا، وأن يتحـول إلـى أشـهى الصـناعات إليـه و أخفهـا عليـه، و لـن يعيبـه أحـد أنـه لـم يتعـاط قـرض الشـعر المـوزون، ولـم يتكلف اختيار الكلام المنثور، ولكنه يعاب أشد العيب إذا تكلف ذلك ولم يكن حاذقا مطبوعا ولا محكم لشأنه بصيرا بما عليه و ما لـه و يعيبـه فـي هذا الحـال من هو أقل عيبا منـه ويرى منه دون أنه فوقه»[1].

ونـرى أن بشـرا ينهـي اهتماماتـه بالمخاطـب فيقـول لـه: «ينبغـي للمـتكلم أن يعـرف أقـدار المعاني»[2].

فبشـر يقصـد مـن وراء هـذا الكـلام أن يسـلح نفسـه فـي خطابـه ويـوازن معنـى كلامـه بفهـم وتقبـل المخاطَـب لأن نجاحـه يعتمـد علـى اسـتجابة المخاطَـب لمـا يقدمـه، و يجـب الاهتمـام ومراعـاة الأمـور المهمـة و مـن بينهـا الصـوت واللفـظ مـن أجـل الإيضـاح وإيصـال المعنـى المطلوب.

1- جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث الفني و البلاغي عند العرب، المركز الثقافي، بيروت، لبنان، ط3، 1992م، ص113.

2- الجاحظ، البيان و التبيين، ص138.

2-قصدية السياق في صحيفة بشر ابن المعتمر.

إن من الجوانب التي راعتها تعريفات البلاغة، جانب المقام(السياق) الذي يقال فيه الكلام و توصل فيه الرسالة، فنجد عند القزويني(ت739هـ) تميزا بين بلاغة الكلام وبلاغة المتكلم، و يحدّ كل منهما على حدة فيعرف بلاغة الكلام بقوله: «هي مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته»[1].

فالقزويني يركز هنا على جانب السياق وما يتواءم معه من ألفاظ مناسبة تقتضي وصول الرسالة تامة على قدر من الفصاحة لا ينبو عنها، وهذا السياق الذي يعنيه القزويني هو سياق الحالوهو استخدام خاص لدلالة السياق عند البلاغيين حين التميز بين السياق اللغوي، وسياق الحال أو المقام، أو كما يسمى عند البلاغيين:"مقتضى الحال".

وتتجلى أهمية السياق من خلال الدور الذي يؤديه في فهم المعنى، ذلك أن الكلمة تكتسب مدلولها من السياق، وتتغير هذه الدلالة بتغيره.

ويظهر إدراك البلاغيين لأهمية السياق في اشتراطهم مطابقة الكلام لمقتضى الحالواشتهرت مقولاتهم أن: لكل مقام مقالاً، ولا يقتصر على معنى السياق اللغوي " المقال" بل يتجاوزه إلى سياق الحال (المقام)وهذا هو المبدأ البلاغي الذي تضمنته صحيفة بشر بنالمعتمر التي تعد من أهم النصوص العربية التي اهتمت بالكتابة والخطابة.

وينشأ هذا الخطاب حسب ما تقتضيه حال المخاطَب، فالمخاطِب حين يلقي هذا الخطاب فهو يستحضر المخاطَب ولو بصورة ذهنية في كل عملية إبلاغية.

ومجال الالتقاء بين اللسانيات التداولية والبلاغة العربية هي اعتبار حال المخاطَب وفي هذا قيمة تداولية هامة ترتبط بالسامع بعدِّه من أهم العناصر المشتركة في العملية الإبلاغية.

1-القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، شرح وتعليق.محمد عبد المنعم خفاجي،منشورات دار الكتب اللبناني، بيروت،لبنان، ط5، 1980م، ص92.

وبشر بن المعتمريتجهإلى الاهتمام بحال الخطاب ومقتضى المقامفيقول:«كن في ثلاث منازل؛فإن أولى الثلاث أن يكون لفظك رشيقًا عذبًا، وفخما سهلاً، ويكون معناك ظاهراً مكشوفًا، وقريبا معروفًا، إما عند الخاصة إن كنت للخاصة قصدت،وإما عند العامة إن كنت للعامة أردت»[1].

وفي هذا إشارة أن الناس درجات متباينة في مستوى الثقافة، فهناك الخاصة وهناك العامة فلا يمكن أن نخاطب العامة بخطاب الخاصة.والمقصود هنا أن العملية الإبلاغية لا تتم بشكل صحيح إلا بمراعاة مستوى ثقافة المتلقي وخلفيته المعرفية فمن بين القيم التداولية في الخطاب أن يصادف السياق المقام المناسب للمخاطَب حتى يؤثر فيهم، « ويسلبه حكم الوقور ويبرزه في معرض المسحور، ولا يخفى ما له من أثرفي العملية الإبلاغية بين المتكلم والسامع»[2].

والمقصود من قول بشر بن المعتمرأنه يجب مراعاة أحوال المخاطَبين واعتبار نوعية المستوى الفكري للمتلقين بوجه خاص«فللسوقة كلام لا يصلح غيره في موضعه والغرض الذي يبنى عليهولسراة القوم والأمراء فن آخرلا يسد مسده سواه»[3].

ومن أجل ذلك كانت مراتب البلاغة متفاوتة بقدر تفاوت الاعتبارات، والمقتضيات وبقدر الاهتمام بها يرتفع شأن الكلام في الحسن والقبح،حيث تحيلنا هذه الفكرةعلى ما وصل إليه الدارسون عندما قاربوا بين المفاهيم التداولية الحديثة،وفكرة مقتضى الحالفي البلاغة العربية القديمة ومنهم صلاح فضل الذي يقول:« ويأتي مفهوم التداولية هذا ليغطي بطريقة منهجية منظمة المساحة التي كان يشار إليها في البلاغة العربية القديمة بـ"مقتضى الحال" وهي التي أنتجت المقولة الشهيرة في البلاغة العربية(لكل مقام مقالٌ)»[4].

1- الجاحظ، البيان والتبيين،ص.136

2-خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص 136.

3-أحمد الهاشمي ،جواهر البلاغة،تد.يوسفالهميلي،المكتبة العصرية، صيدا بيروت لبنان،1999م، ص41.

4-صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص،ص26.

اعتنت التداولية بفكرة مقتضى الحال بشكل كبير،حيث من اشتراطها أن يكون فيها الخطاب مطابقا للسياق، إذ تقوم البلاغة في مجموعها على هذه الفكرة لدى الكثيرين كما ورد في الإيضاح:«وأما بلاغة الكلام فهي مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته»[1].

وتعتبر صحيفة بشر ابن المعتمر من بين أهم النصوص العربية التي اهتمت بفكرةمقتضى الحال؛إذ يقول: «وإنما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة وما يجب لكل مقام من المقال»[2].

ويقصد بالمقام هو الأمر الحامل للمتكلم على أن يورد عبارته على صورةمخصوصة، وأما مقتضى الحال؛هو الاعتبار المناسب وهو الصورة المخصوصةالتي تورد عليها العبارات:«مثل ـ المدح ـحال يدعو إلى إيراد العبارة على صورة الإطنابوذكاء المخاطب حال يدعو لإيرادها على صورة الإيجاز، فلكل من المدح والذكاء (حالومقام)»[3].

وبلاغة المتكلم هي ملكة في النفس،فهي راسخة ثابتة في نفس المتكلم،يمكنه بواسطتها أن يعبر عن المعاني التي يريد إفادتها لغيره بعبارات بليغة مطابقة لحال الخطاب وفي المقدمة لابن خلدون يقول:«إذا حصلت الملكة التامة في تركيب الألفاظ المفردة للتعبير بها عن المعاني المقصودة ومراعاة التأليف الذي يطبق الكلام على مقتضى الحال بلغ المتكلم حينئذ الغاية من إفادة مقصوده للسامع وهذا هو معنى البلاغة»[4].

فهي تتلخص في مدى مطابقته تأليفات السامع لمقتضى الحال حيث تحصل إفادة المخاطب، وإن اختلاف هذه الظروف يقتضي هيئة خصوصية من التعبير "فلكل مقام مقال".

فعلى المتكلم ملاحظة المقام أو الحال،فهو الأمر الذي يدعوه أن يورد كلامهعلى صورة خاصة تشاكل غرضه، وتلك الصورة الخاصة التي يُورد عليها تسمى المقتضىأو الاعتبار

1- القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة،ص80.

2- الجاحظ، البيان والتبيين،ص136.

3- أحمد الهاشمي،جواهر البلاغة،ص41.

4- ابن خلدون،المقدمة،ص574.

المناسب،ولا نستطيع القول بأن الكلام بليغ إلا إذا حدثت المطابقة بينه وبين مقتضى الحال،وهذا هو جوهر التداولية الحديثة.

وهذا ما تبين لنا في كلام بشر:« وإنما مدار الشرف على الصواب وإحرازالمنفعة، مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من المقالِ»[1].

فكلامه عن موافقة الحال وما يجب لكل مقام من المقال،المراد منه أن توضع الألفاظ وتصاغ المعاني في موضعها الملائم موافقة المقام الذي قيلت فيهوالمخاطب الذي تُوجه إليه،لأن مراعاة حال المخاطب تعد صفة من صفات البلاغة، وأفضل من مثل لهذه الميزة هو القرآن الكريم، فإن الله عزّ وجل عندما أنزل كتابه على نبيه كان مطابقًا كل المطابقة لحال العرب، وعقولهم،فأصغت إليه الأسماع والتفتت إليه الأبصار واستقبلته القلوب.

ثم يضيف بشر فيقول:«ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني،ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين،وبين أقدار الحالات فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما ولكل حالة من ذلك مقاما،حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني،ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات،وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات»[2].

فالعلاقة بين المقال والمقام، وبين المخاطِب والمخاطَب هي المحددة لنوعية الكتابة سواءأكان طويلا أو مختصر، لأن المراد الذي من أجله وضع الخطاب في أسلوبه الموافق للمخاطبين إنّما هو التأثير والاستمالة؛ وهي من أولويات المبدع مراعاة أحوال السامعين حتى يضمن التأثير في نفوسهم.

وما نلاحظه من كلام بشر بن المعتمر عن مراعاة مقامات الناس أنه لم يهتم بالمخاطَب لمكانته، وإنما أوجب مراعاة أحواله النفسية لكي يتمكن من ايصال صوته إليه، فينال الرضى والإعجاب، إن ما ينتج من جانب هذه المراعاة تخص المبدع من جهة والمخاطَب من جهة أخرى.

1- الجاحظ، البيان والتبيين،ص136.

2-المرجع السابق، صص 138، 139.

أمـا المبـدع: يكـون راضـيا عمـا يلقـي عارفـا بمـواطن النفـوس، ومـا تحبـه وتكرهـه. والمتلقي: يكون قادرا على استقبال ما يُلقى إليه محبًا لـه، فيتغلغل فـي نفسـه، ويتمكن من ذهنه، ويسيطر على أفكاره.

ومن أجل نجاح عملية الإبلاغ يجب أن يكون المخاطبون ممن يدركون مناحي الخطاب السـليم ويفهمـون ذلـك النـوع مـن الخطاب،فـإن لكـل قـوم قـدرا مـن المعـاني ونـوع مـن الكلاممعمراعاة التوازن والانسجام بين أقدار المعاني وأقدار المستمعين.

ومن خلال هذه المقاربة النقدية لمتن صحيفة بشر بن المعتمر نستطيع القول أنه قد اهتم بشكل كبير بالمخاطِب والسياق الذي ينتجه من أجل الإبلاغ السليم وإحراز المنفعة بمعاني فصيحة مباشرةمطابقة لمقامات المتلقي وأحواله،وهذا هو جوهر العملية الإبلاغية من وجهة نظر تداولية.

وبعد أن تطرقنا إلى ملامح القصدية التداولية من خلال هذه الصحيفة، نتجه إلى المقاربة الثانية من المقاربات التداولية،وهي الكفاءة التداولية لمحاولة الوصول كيف كان تعامل بشر بن المعتمر مع النص من خلال هذه المقارنة التداولية.

المبحث الثاني: ملامح الكفاءة التداولية في صحيفةبشر بن المعتمر.

مما هو مسلم به أن المتخاطبين لا يلجون عالم التخاطب إلا وهم محاطون بجملة من المبادئ تحكم سلوكهم التخاطبي،وهي كما يمكن أن نصطلح عليها، مبادئ التخاطب والتي رغم كونها مفروضة على المتخاطبين كقواعد صحة الخطاب الصرفية والتركيبية والدلالية،فأنه ينبغي مراعاتها من طرف كل من أراد الدخول في عملية التبادل الكلاميوإن مجموع هذه المبادئ ذات الطبيعة البلاغية التخاطبية هي ما يشكل القدرة التداولية لدى المخاطبين.

وفيهذا المبحث سنحاولالوصول إلى أي مدى تمكن بشر بن المعتمر من الاهتمام والتحكم في قدرة المخاطِب اللغوية ومدى قدرته على مراعاة مقام المخَاطب من خلال مقاربتين للكفاءة التداولية؛الكفاءةاللغوية والمقامية.

1-الكفاءة اللغوية في صحيفة بشر بن المعتمر

يعتمد الإنسان في تواصله مع الأخر أداة يتم من خلالها نقل الأفكار والتصوراتالتي تكمن في العقل أو العواطف والأحاسيس، لهذا فإن الظواهر على اختلافها يمكن اعتبارها ظواهر تواصلية وكل سلوك اتجاه الأخر يمكن اعتباره سلوكا تواصليا، «وإنه لكل نسق عناصر تألفه، وقواعد تنظم إنبناءه، ومبادئ تضبط استعماله»[1].

وكفاءة اللغة تتمثل في القدرة على إنتاج وفهم ما يصعب حصره من الجمل،ومما يتجلى لنا من خلال صحيفة بشر أنه على المتخاطبين التقيد بشروط معينة حتى تنجح عملية الإبلاغ.

وقد اهتم بشر بن المعتمر بشكل كبير بالجانب اللغوي للألفاظ وقدرتها على إتمام هذه العملية الإبلاغية، كما اهتم بشكل كبير بالشروط التي يجب أن يأخذها الكاتب بعين الاعتبار اثناء القيام بفعل الكتابة، حيث ورد في صحيفته:«إن أمكنك أن تبلغ من بيان لسانك، وبلاغة قلمك، ولطف مداخلك، واقتدارك على نفسك، إلى أن تفهم العامة معاني

1-سعيد بنكراد، استراتيجيات التواصل من اللفظ إلى الإماءة، (مجلة علامات)، ع21، 2004م، ص6.

الخاصة، وتكسوها الألفاظ الواسطة، التي لا تلطف عن الدهماء، ولا تجفو عن الأكفاء، فأنت البليغ التام»[1].

والغاية من هذا القول؛ أنه إذا كان الكاتب متمكنا من اللغة استطاع أن يُبلغ إسهامه في العملية الإبلاغية.

حيث اهتم بشر بالقدرة على بلوغ البيان؛ والبيان هو التمكن من «ايراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة والنقصان ليحترز بالوقوف في ذلك على الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه»[2]؛ فالإفصاح والبيان مهمان في ايصال ما نريد.

فمن الوسائل التي ينشدها كل مُبلغ هي الإبانة عن الحجة والإفصاح عن الأدلة، أما إذا كان المخاطِب غير قادر عن الإبانة فسوف يبتعد عنه المخاطَبون ويعرضون عنه صفحا، وبذلك لن يفهم مقصده، وقد أشار بشر إلى "اللسان" لأنه الأداة التي تظهر قدرة الخطيب، و بما أن اللسان هو:«الأداة الأولى التي يستخدمها الخطيب فلا بدّ أن تكون سليمة صحيحة، لكي يتسنى له استعمالها على أكمل وجه»[3].

فمن خلاله تعرف بلاغة الخطيب وفصاحته ومكانته بين الخطباء، يقول الجاحظ: «وصف بعض البلغاء اللسان فقال: اللسان أداة يظهر بها حسن البيان، وظاهر يخبر عن ضمير، وشاهد ينبئك عن غائب، وحاكم يفصل بين الخطاب، وناطق يرد به الجواب، وشافع تدرك به الحاجة، وواصف تعرف به الحقائق»[4].

واتبع بشر القدرة على بلوغ بيان اللسان ببلاغة القلم؛ و يقصد منها القدرة التي يمنحها القلم للكاتب، لأن الكاتب يعد مختارًا، و يتبين هذا الاختيار ليس من جهة انتقاء الموضوعات، بل الحرية في تحويل العبارات وترتيبها و تنسيقها وفق معايير الكتابة الصحيحة.

وشرف الكتابة وفضلها يبرز من خلال الثبات والبقاء ومخاطبة القريب والبعيد، والغائب والحاضر، وفي هذا المعنى يؤكد عبد الرحمان بن كيسان على الحرية التي يمنحها القلم للكاتب قائلا:«استعمال القلم أجدر أن يخص الذهن على تصحيح الكتاب من استعمالاللسان

1- الجاحظ، البيان والتبيين، ص137.

2- أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص41.

3-الجاحظ، البيان و التبيين،ص35.

4-المرجع السابق، ص85.

على تصحيح الكلام. وقالوا اللسان مقصور على القريب والحاضر، والقلم مطلق في الشاهد والغائب... والكتاب يقرأ في كل مكان ويدرس في كل زمان، واللسان لا يعدو مستمعه ولا يتجاوزه إلى غيره»[1].

فقدرة الكاتب تكمن في حسن بيان لسانه، وما يتضمنه من فصاحة وقوة في العبارات وفي كفاءة قلمه وبلاغته.

أما لطف المدخل المقصود هنا هو براعة الاستهلال، وحسن الابتداء بأن يجعل أول الكلام رقيقا سهلا واضح المعاني، مستقلا عما بعده، فإذا تمكن الكاتب من أن يجمع هذه الشروط أثناء فعل الكتابة تحققت قدرته وكفاءته اللغوية، أي اقتداره على نفسه، واستطاع أن يكسو الألفاظ الواسطة؛ فكان علة قدر لم يطل فأمل السامع، ولم يقصر فأخل المعنى، وصل إلى نتيجة مفادها حسن الإبلاغ والتأثير.

وبهذا يكون قد حقق شرط المطابقة بين كلامه والغرض المراد منه، وهذا ما يتماشمع قاعدة الكيف التي تمثل إحدى مبادئ التخاطب.

أما في قوله: «فكن في ثلاث منازل؛ فإن يكون لفظك رشيقا عذبا، وفخما سهلا، ويكون معناك ظاهرا مكشوفا وقريبا معروفا.»[2].

وبشر بهذا الكلام يذهب إلى أنه يجب على المخاطِب أن يتحرى الوضوح في المعاني التي يريد إبلاغهافيكون المعنى ظاهرا بعيدا عن الغموض، وأن يتحرى الإيجاز في قوله وهذا ما يتوافق مع قاعدة الصيغة، فنجاح العملية التواصلية قائمعلى أساس الصيغة الصحيحة للعبارات المستعملة، وهو ما أشار إليه غريس في قوله:«أن تنزل منزلة الضوابط التي تضمن لكل مخاطبة إفادة تبلغ الغاية في الوضوح بحيث تكون المعاني التي ينقلها المتكلم والمخاطب صريحة و حقيقية...»[3].

و هذه القواعد قد فتحت بابًا واسعا في تطوير التداوليات اللغوية، وتنوع الدراسات المتعلقة بموضوع التواصل الإنساني.

1- محمد الماكري، الشكل و الخطاب، مدخل لتحليل ظاهراتي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ص90.

2-الجاحظ، البيان والتبيين، ص136.

3- طه عبد الرحمان، اللسان والميزان،ص239.

وفي قول بشر: « أكرم جوهرًا وأشرف حسبًا، وأحسن في الأسماع، وأحلى في الصدور وأسلم من فاحش الخطاء، وأجلب لكل عين وغُرةٍ، من لفظ شريف و معنى بديع»[1].

ففي هذا القول سيمات الطبع سماحة القريحة، وتدفقها وانطلاقها وبشر لا يريد بالطبع هنا معنى الغريزة أو الموهبة، « وإنما أراد بها تهيؤ النفس للنظم في ساعته وإقبالها عليه إلا أنه يعد ذلك مقياسا للطبع القادر على القول»[2].

ويكمل فيقول: «اعلم أن ذلك أجدى عليك مما يعطيك يومك الأطول بالكدّ والمطاولةِ والمجاهدةِ، وبالتكلفِ والمعادةِ»[3]، أما في هذا القول فسيمات التكلف وعلامات الصنعة والكدّ ولا خير في التكلف.

والقول إذا خرج من النفيس بسماحة و يسر فلا بدّ: « أن يكون مقبولا قصدا وخفيفاعلى اللسان سهلا، وكما خرج من ينبوعه ونجم من معدنه»[4].

كما نجد في تحذيره من التوعر إشارة لاجتناب الوقوع في العيوب المخلة بالفصاحة فالتوعر يقضي بنا إلى الوقوع في التعقيد، و كل كلام كان ذلك تركيبه وتلك مادته كان أوغل في الغموض،وأبعد عن الإبلاغية، بما أن الإبلاغ هو مهمة المخاطِب فكم جنت ألفاظ حوشية على معنى عميق حالت دون انطلاقها إلى إفهام الناس.

وفي الابتعادعن التوعر يقول: «وإياك والتوعر فإن التوعر يسلمك إلى التعقيد»[5].

وبالعودة إلى الأصول التي تستمد منها المعاني نجد أن في التوعر إشارتين:

فالتوعر: هو ركوب الوعر من الأرض و الجبال، والوعر في الأرض ما كان مجهولا غير مستأنس، وكذلك الشأن في صورة التوعر الكامنة وراء تحذير بشرفهي تكشفعن المهلك القابع

1-الجاحظ، البيان والتبيين، صص135،136.

2- عبد الهادي خيضر نيشان، الصدق الفني في الشعر العربي، دار الشؤون الثقافية، ط1، 2007م،بغداد،العراق، ص346.

3- الجاحظ، البيان والتبيين، ص136.

4-المرجع السابق، ص136.

5-المرجع نفسه، ص136.

وراء محاولة تركب هذا النهج، وتسلك هذا السبيل، مادامت تتراتب فيها نتائج متعاقبة السوء، فتكون مرحلته الأولى تعقيدا وهذا التعقيد هو أيضا من العيوب المخلة بالفصاحة.

والتوعريُسلم إلى استعمال الغريب والشاذ من الكلام الذي تلاشت دلالته في أذهان الناس لبعده عنهم.

كما يعدبشر بن المعتمر أول ممن نبه إلى التعقيد، وحث على ضرورة تجنبهفي الكلام على أساس أنه ناجم عن التوعر الذي يسلم لا محالة إلى التعقيد « ويلاحظ منذ البداية وجود ثنائية التوعر والتعقيد، الذي قد يكون لفظيا نتيجة تداخل الألفاظ وتراكبها أومعنوي جراء غموض المعنى وإبهامه و استغلاقه على الاستفهام»[1].

فالتعقيد اللفظي: هو«كون الكلام خفي الدلالة على المعنى المراد به بحيث تكون الألفاظ غير مرتبة على وفق ترتيب المعاني»[2]، وينشأ ذلك الخفاء من تقديم أو تأخيرأو فصل بين الكلمات التي يجب أن تتجاوز ويتصل بعضها ببعض.

أما التعقيد المعنوي:«هو كون التركيب خفي الدلالة على المعنى المراد، لخلل في انتقال الذهن من المعنى الأصلي إلى المعنى المقصود»[3].

ويقول في موضع آخر من صحيفته:«من أراغ معنى كريما فليلتمس له لفظا كريما فإن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف»[4].

بما أن التعقيد من عيوب الفصاحة فهو يخل المعنى و يفقده قيمته ويضعف من قوة بلاغته و بالتالي يؤثر سلبا على كفاءة المخاطِب.

1-أحمد مطلوب، معجم مصطلحات النقد العربي القديم، مكتبة لبنان،بيروت، لبنان، ط1، 2001م، ص21.

2-أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص 33.

3-المرجع السابق، ص 34.

4- الجاحظ، البيان والتبيين، ص136.

إن اللفظ والمعنى وحدة لا تتجزأ، فسر البلاغة يرجع إلى روعة المعنى وسموهوإلى جزالة اللفظ وقوته أو رقته وفصاحته:« فليس معنى منفصلا عن اللفظ ولا لفظا منفصلاعن المعنى وإنما هو مزيج من عناصر عدة، مزيج من الفكر والعاطفة والخيال والتعبير»[1].

ومن المعروف أن اللفظ و المعنى من أهم قضايا النقد الأدبي التي شغلت النقاد والبلاغيين منذ عهد مبكر.

و بعد أن قام بشر بتصنيف مراتب الكتاب، واهتم بكل صنف منهم والمواصفات التي لا بد أن تتوفر فيهم،اهتم بالسياق الذي يجب أن يكون في كل صنف، والشروط التي تتوفر في هذا السياق؛حيث قال: «أن يكون لفظك رشيقا عذبا فخما سهلا،ويكون معناه ظاهرا مكشوفا،وقريبا معروفا»[2].

واللفظ الرشيق يدل على السهولة والخفة وترابط تدرجاته في تناغم تام، فاللفظ إذا تحرز الرشاقة كان حقا به أن يكون عذبا، غير أن هذه السمة (العذوبة) ترتبط بالكشف،كما ارتبطت الرشاقة بالظهور، والظهور إبانة ووضوح.

وبشر بهذا المعنى يريد تجنب الغموض حتى يكون المعنى ظاهرا مفهوما، وتجنب الغموض هذا يمثل قاعدة من قواعد الصياغة اللفظية، و يمكن القول أنه يريد بهذا المعنى تحقيق الضوابط التي تضمن لكل مخاطبة إفادة تبلغ الغاية في الوضوح، حتى تكون المعاني التي يتناقلها المتكلم والمخاطب صريحة حقيقية.

وأما في قوله: « وإنما مدار الشرف على الصواب و إحراز المنفعة»[3].

1- أحمد الحوفي، فن الخطابة، مطبعة الرسالة،القاهرة، مصر،ط3، 1963م، ص182.

2- الجاحظ، البيان والتبيين،ص136.

3-المرجع السابق، ص136.

ويقصد بمدار الشرف، شرف المعنى ووجه قبوله قائم على صوابه وصحته مع ما يقدمه من فائدة للمخاطب، هذا هو مبدأ المنفعة الذي يمثل أحد أسس اللسانيات التداولية الحديثة إلى موافقته لمقام المخاطب وحالته، فالألفاظ الشريفة تكون على قدر من الصواب والشرف.

والصـواب؛أن لا يكـون فيـه خطـأ فـي عـرض الوقـائع والحقـائق، أومخالفـة للقواعـد والمصطلحات.

أما المنفعة قد يكون القصد منها بلوغ القصد والوصول إلى الغاية التي يسعى إليها المخاطِب، ويمكن أن يكون المقصود منها، أنّ ما يقدمه المخاطِب فيه فائدة كبيرة أي أن يكون له قيمة يستحق أن يُقال من أجلها، وهكذا فإن المنفعة تتحقق إذا أضاف الأديب شيئا مهما إلى فكر السامع أو حسه أو وجدانه.

أما في قوله:« وتجد اللفظة لم تقع موقعها ولم تصر إلى قرارها وإلى حقها في أماكنها المقسومة، والقافية لم تحل في مركزها وفي نصابها، ولم تتصل بشكلها وكانت قلقة في مكانها، نافرة في موضعها فلا تكرها على اغتصاب الأماكن، والنزول في غير أوطانها، فإنك لم تتعط قرض الشعر الموزون، ولم تتكلف اختيار الكلام المنثور، لم يعبك بترك ذلك أحد»[1].

إن بنية القصيدة فعل يجب على الشاعر أن ينتهجه لكي يكون مدعاة للتقبل، ويستطيع استمالة القلوب، ولا يعيبه في قول الشعر أحد.

والقافية عنما تكون متمكنة في مكانها في البيت وتمون عذبة وسلسة المخرج فهي مما يشتاق المخاطَب لسماعها إذ أن ايقاعها يطرب الأسماع ويهز النفوس، لصوابه وحسن تركيبه واعتدال اجزاءه، وبهذا يكتمل الجرس الموسيقي الذي أراده.

وبشر من خلال هذا القول يشير إلى أنه يجب أن يكون هناك تآلف بين عناصر البيت الشعري، فإذا كان الشعر مستكرها وكانت ألفاظ البيت من الشعر لا يقع بعضها مماثلا لبعض كان بينها تنافر، وكانت الكلمة في غير موقعها.

1- الجاحظ البيان والتبيين، ص 136، 137.

وهذا ما أشار إليه الجاحظ في قوله:«وإنما الشأن في إقامة الوزن، وتخيير اللفظ، واستقامة المعنى وفي كثرة الماء وفي صحة الطبع، ومتانة السبك، فإن الشعر صناعة وضرب من النسيج وجنس من التصوير»[1]

إن التآلف والتلاحم الذي يدعو إليه بشر بن المعتمر هو الذي يجعل الشعر مقبولا على ألسنة القراء والمستقبلين.

إن هذه الشروط التي يجب أن تتوافر في البيت الشعري، تكون لدينا حسا شعريا تجعلنا نتلمس جمال صوره وتناغم موسيقاه الداخلية وبالتالي تمد جسرا من التواصل بين المبدع والمتلقي.

1- الجاحظ البيان والتبيين، ص 289.

2- الكفاءة المقامية في صحيفة بشر بن المعتمر.

يلعب المقام دورا مهما في إتمام العملية التواصلية، وحضي هذا الجانب باهتمام من قبل بشر بن المعتمر حيث نلمس اهتمامه مما أورده من أقوال: «إما عند الخاصة إن كنت للخاصة قصدت، وإما عند العامة إن كنت للعامة أردت»[1].

وفكرة أن للناس مقامات ويجب اختيار الخطاب المناسب لكل مقام، والقدرة افهام المخاطَب حسب اعتباره.

كما أن الخطاب ينطلق من المجتمع ويرجع إليه، فلا بد لكل عمل أدبي من مبدع ومستقبل، مع اختلاف درجة هذا المستقبل من حيث مستواه الفكري، وطبقته الاجتماعية، التي ينتمي إليها.ومنهفعلى ذلك المبدع أن يراعي مقتضى الحال، ويخاطب كل طبقة بما تفهمه.

إذًا لا بد للمبدع أن يحدد نوعية الطبقة التي يخاطبها كي يستقيم المقال على المقام، حيث قال بشر بن المعتمر: «ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين، وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما، ولكل حالة من ذلك مقاما، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات»[2].

يتبين لنا من قول بشر أنه قد حدد طبقات من الناس إذ يجب على المبدع أن يتعامل مع الناس وفق قدرتهم المعرفية، حيث يقول الجاحظ في هذا الأمر: «... ومقدار الأمر على إفهام كل قوم بمقدار طاقتهم»[3].

وهناك طبقة أخرى ذكرها بشر في صحيفته: «فإن كان الخطيب متكلما تجنب ألفاظ المتكلمين كما أنه إن عبر عن شيء من صناعة الكلام واصفا أو مجيبا أو سائلا كان أولى

1- الجاحظ، البيان و التبيين، ص136.

2- المرجع السابق، 139.

3- المرجع نفسه، ص93.

الألفاظ به ألفاظ المتكلمين؛ إذ كانوا لتلك العبارات أفهم، وإلى تلك الألفاظ أميل وإليها أحن وبها أشغف»[1].

يمكن القول أن بشر بن المعتمر قد قسم الناس إلى طبقات إلى عامة وخاصة، واعتبر أن أبلغ مراتب البلاغة هي إفهام العامة معاني الخاصة، والعامة والخاصة لا يستوون في أمر من أمور الدين والدنيا فإنهم عند استوائهم في هذه الأمور يذهب التفاضل والاختيار إذ يقول الجاحظ: «لو كانت العامة تعرف من الدين والدنيا ما تعرفه الخاصة، كانت العامة خاصة وذهب التفاضل في المعرفة، ولو لم يخالف بين طبائعهم لسقط الامتحان وبطل الاختيار»[2]

و في هذا المقام يتدخل الجاحظ بتعليق يقدم فيه رأيه حول مقامات الناس حيث ميز بين العوام والخواص، يقول في ذلك:«... فإذا سمعتموني أذكر العوام فإني لست أعني الفلاحين والحُشْوَة والصناع و الباعة، و لست أعني أيضا الأكراد في الجبال، وسكان الجزائر في البحار، و لست أعني من الأمم مثل البربر والطيلسان، و مثل موقان وجيلان، و مثل الزنج وأشباه الزنج. و إنما الأمم المذكورة من جميع الناس أربع: العرب، وفارس والهند، والروم، والباقون همج وأشباه الهمج. وأما العوم من أهل ملتنا ودعوتنا ولغتنا، وأدبنا وأخلاقنا، فالطبقة التي عقولها وأخلاقها فوق تلك الأمم، ولم يبلغوا منزلة الخاصة مناعلىأن الخاصة تتفاضل في طبقات أيضا»[3].

والجاحظ يذهب بهذا القول إلى أن ميول الناس واتجاهاتهم تختلف من واحد إلى آخر فلكل هوىً معين، ونزوع نفسي إلى صناعة دون أخرى، فواحد يميل إلى الشعر وآخر يتجه إلى التجارة أو الفلاحة، ونجد مثل هذا التباين في الأمزجة بين أصحاب الفن الواحد.

ففي صناعة الأدب نجد واحد يبرع في الرسائل والخطب و لا يستطيع أن يقرض بيتا من الشعر يقول الجاحظ:« وقد يكون الرجل له طبيعة في الحساب وليس له طبيعة في الكلام، وتكون له طبيعة في التجارة وليست له طبيعة في الفلاحة، ويكون له طبع في تأليف الرسائل

1-الجاحظ، البيان والتبين، ص139.

2- المرجع السابق، ص82.

3-المرجع نفسه، ص 137.

والخطب والأسجاع، ولا يكون له طبع في قرض الشعر ومثل هذا كثير، وفي الشعراء من يخطب وفيهم من لا يستطيع الخطابة، وكذلك حال الخطباء في قرض الشعر»[1].

مادام لكل امرئ نزوع إلى مهنة بعينها، فمن الواجب أن نحترم موهبته، ومنه التعامل مع الناس حسب أقدارهم ومقاماتهم حيث يقول أبو الهلال العسكري:«جعل إلى بعض الرواة واللغويين الذين يقحمون أنفسهم في نقد الشعر وهم ليسوا أهلا لذلك ولا متخصصين»[2].

وفي قول بشر أيضا:« ومدار الشرف على الصواب واحراز المنفعة وما يجب لكل مقام من المقال»[3].

فالمتلقي يريد من خلال ما يستقبله كل ما يحب ويوافق هواه ويعبر عن أوضاعه وآماله وأحواله.

في الأخير نشير إلى إن هذه الصحيفة تدعو دعوة صريحة إلى الاهتمام بأصناف وطبقات المستقبلين ومخاطبة كل طبقة بما يفهمونه على حسب قدراتهم وطاقاتهم العقلية.

1-وليد قصاب، التراث البلاغي للمعتزلة حتى نهاية القرن السادس هجري،(الدوحة، الكويت)،1985م، ص134.

2- أبو الهلال العسكري، الصناعتين، ص151.

3- الجاحظ، البيان والتبيين، ص137.

خاتمة

خـــــاتمة

تهتم التداولية بدراسة اللغة أثناء الاستعمال، وبطرق استخدام العلامات اللغوية، وأيضا بالسياق و الطبقات المقامية التي ينجز فيها الخطاب، كما تهتم بعناصر العملية التبليغية التواصلية؛ إذ يقوم هذا الاتجاه اللساني على مجموعة من المبادئ والنظريات التي تم التطرق إليها، ومن بينها القصدية، والكفاءة التداولية.

حيث تهتم هذه الالمقاربات بما يفعله المتكلمون باللغة من إنجاز، تأثير وتبليغ، وبمراعاة سياق الحال والغرض من الخطاب؛ حيث أخذنا بعين الاعتبار هذه الاهتمامات وحاولنا الوصول اليها عن طريق تحليل نقدي لمتن صحيفة 'بشر بن المعتمر'.

وفي ضوء ما سبق يمكننا أن نشير إلى أهم النتائج التي تمخضت عنها هذا البحث في النقاط الآتية:

1- عدم استقرار نشأة التداولية بسبب تعدد مصادرها، واختلاف المذاهبووجهات النظر الفكرية والمعرفية.
2- اهتمام التداولية بدراسة استعمال اللغة جعلها تلتقي بمجموعة من العلوم والتخصصات الأخرى ذات الصلة المباشرة واللغة نحو: البلاغة، وفلسفة اللغةوغيرها.
3- من الدارسين؛من جعل التداولية مقابلا لفكرة مقتضى الحال في البلاغة العربية.
4- تهتم التداولية بدراسة اللغة أثناء الاستعمال، دون أن تهمل المعنى الذي يحدده السياق المقامي(مقال الحال).
5- تحتوي البلاغة العربية منذ القديم على معارف قيمة تهتم بقيمة المبدع والمتلقي على حد سواء.

6- مكنتنا صحيفة بشر بن المعتمر من أن نتعرف على المقاصد البلاغية التي تنطوي تحت هذه الصحيفة النقدية، كما اكتشفنا على القدرة اللغوية للمبدع وكيف يمكنها أن تتماشى مع قدرة المخاطَب.

7- لاحظنا اهتمام بشر ابن المعتمر بالقصدية برؤية بلاغية قديمة.

8- اذًا: يمكن القول أن السياق اللغوي ينشأ وفق ماتقتضيه حال المخاطب النفسية واللغوية.

وهذه النتائج تمثل أهم ما توصل اليه البحث، ويبقي هذا العلم حديثا واتجاهاته عديدة لمن أراد التعمق في مضامين هذا البحث اللغوي المعاصر.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المـصادر والـــمراجع

- القرآن الكريم، رواية حفص عن عاصم.العاصمة، الجزائر.

أولا: المصادر والمراجع.

1- أحمد الحوفي، فن الخطابة، مطبعة الرسالة، القـاهرة، مصر، ط3، 1963م.

2- أحمـد المتوكـل، الجملـة المركبـة فـي اللغـة العربيـة، منشـورات عكـاظ، الربـاط، المغرب 1988م.

3- اللسانيات الوظيفية مدخل نظري،منشوات عكاظ، الرباط المغرب،1987م.

4- الوظـــائف التداوليـــة فـــي اللغـــة العربيـــة، الدارالبيضـــاء، المغـــرب، ط1405،1هـ/1985م.

5- أحمد الهاشمي،جواهر البلاغة،تد.يوسفالهميلي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان،1999م.

6- إدريـــس مقبـــول، الأســـس الإبســـتيمولوجية والتداوليـــة للنظـــر النحـــوي عنـــد سيبويه،ط1،عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن،2006م.

7- أرسطو طاليس،الخطابـة،تح. عبد الرحمن بـدوي،دارالقلم، د. ط، بيروت، لـبنان، 1976م.

8- بيار أشار، سيميولوجيا اللغة،ت. بد الوهاب تزو، منشورات عويدات،بيروت.لبنان، ط1، 1996م.

9- جـابر عصـفور، الصـورة الفنيـة فـي التـراث الفنـي و البلاغـي عنـد العـرب، المركـز الثقافي، بيروت، لبنان، ط3، 1992م.

10- الجـاحظ(أبـو عثمـان عمـر بـن بحـر)، البيـان والتبيـين، ت. وشـرح عبـد السـلام هارون. د.ط، دار الجيل، بيروت، لبنان،ج1، د.ت.

12-جماعـة مـن المختصـين، معجـم النفـائس الوسـيط، إشـراف. أحمـد أبـو حاقـة، دار النفائس، بيروت. لبنان، ط1، 2007م.

13- جون ليون، اللغة و المعنى والسياق، ت.عباس صادق الوهاب، دار الشؤون، بغداد العراق، ط1، 1987م.

14- الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،الجزائر، 1992م.

15- حكيم بناني، الظاهرتية و فلسفة اللغة،(تطور مباحث الدلالة في الفلسفة النمساوية)، إفريقيا الشرق، بيروت، لبنان، 2003م.

16- حنّا غالب، كنز اللغة العربية، موسوعة في المترادفات والأضداد والتعابير، مكتبة لبنان، د.ط، بيروت، لبنان ، د.ت.

17- ابن خلدون، المقدمة، دار الفكر للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، د.ط، 1984م.

18- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم بيت الحكمة، العلمة، الجزائر، ط2، 2012م.

19- خولة طالب إبراهيم، مبادئ في اللسانيات، دار القصبة للنشر، الجزائر، الجزائر دط، 2000م.

20- الزمخشري، أساس البلاغة، ت.عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت، لبنان 1982م.21- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيوب الأقاويل في وجوه التنزيل، دارالمعرفة للطباعة والنشر،ج2،د.ت.

22- السكاكي (أبو يعقوب يوسف)، مفتاح العلوم، ضبط: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية ط2، بيروت، لبنان،1987م.

23- عبد سلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب،بيروت، لبنان، ط1، 1981م.

24- شهاب الدين ابن خفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1، 1997م.

25- صلاح اسماعيل، فلسفة العقل،(دراسة في فلسفة سيرل)، دار قباء، القاهرة مصر،2007م.

26- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، الشركة المصرية العالمية، إشراف. محمود مكي علي، ط1، 1986م.

27- عبد الله صولة،الحجاج في القرآن من أهم خصائصه الأسلوبية، جامعة منوبة، منشورات كلية الآداب، سلسلة لسانيات، مج،13، تونس، تونس، ص27.

29- طه عبد الرحمان،أصول الحوار وتجديد علم الكلام،الدار البيضاء، المغرب، ط2 2000م.

30- اللسان و الميزان، المركز الثقافي العربي،دار البيضاء، المغرب، ط1، 1998م.

31- تجديد المنهج في تقويم التراث،الدار البيضاء،المغرب،ط2، 2005م.

32- عمر بالخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية،منشورات الاختلاف، الجزائر،ط1، 2003م.

33- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ت.عبد السلام هارون، دار الجيل،ط 1 1991م.

34- فان دايك، علم النص،مدخل متداخل الاختصاصات، ت.سعيد حسين بحيري، القاهرة، مصر،ط1، 2001م.

35- فرانسواز(أرمينكوا)، المقاربة التداولية، ت. سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط، المغرب، 1986م.

36- فوزي السيد عبد ربه، المقاييس البلاغية عند الجاحظ في البيان و التبيين، المكتبةالأنجلوا مصرية، القاهرة، مصر، 2005 م.

37- الفيروز أبادي(مجد الدين محمد بن يعقوب)، القاموس المحيط، ت. أبو الوفاء نصر الشافعي، د.ط، دار الكتاب الحديث، القاهرة، مصر، د.ت.

38- عبد قاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، شرح.عبد المنعم خفاجي، تح.محمد رضوان مهنا، مكتبة الإيمان، المنصورة، القاهرة، مصر، د.ت.

39- القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، شرح وتعليق. محمد عبد المنعم خفاجيط5، منشورات دار الكتب اللبناني، بيروت، لبنان،1980م.

40- ابن القيم، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد المكتبة العصرية، صيدا، بيروت،ج3، 1987م.

41- محمدالعمري،البلاغةالعربية،أصولهاوامتداداتها،أفريقياالشرق،المغرب 1999.

42- محمد الماكري، الشكل والخطاب، مدخل لتحليل ظاهراتي، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، المغرب.

43- محمد زغلول سلام، تاريخ النقد العربي إلى القرن الرابع هجري، مطلعة أطلس القاهرة، مصر، 1982م.

44- محمد سالم ولد محمد،مفهوم الحجاج عند بيرلمان و تطوره في البلاغة المعاصرة الكويت،الكويت، 2000م.

45- محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، دراسة تحليلية نقدية، بيروت، لبنان، ط6، 2000م.

46- محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، (استراتيجية التناص)، ط3،المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، د.ت.

47- محمود أحمد نخلة،آفاق جديدة للبحث اللغوي المعاصر،دار المعرفة الجامعية الإسكندرية،مصر،2006م.

48- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية،دار الطليعة،بيروت،لبنان، ط1، 2005م.

49- مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، راجعه. عبد الله المنشاوي، مكتبة الإيمان ج2، ط1، المنصورة، مصر، 1417هـ، 1998م.

50- عبد هادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب(مقاربة لغوية تداولية)، الدار الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004م.

51- عبد هادي خيضر نيشان، الصدق الفني في الشعر العربي، دار الشؤون الثقافية ط1، بغداد، العراق،2007م.

52- ابو هلال العسكري، الصناعتين، ت. علي محمد بجاوي ومحمد أبي فضل إبراهيم المكتبة العصرية صيدا، بيروت، لبنان، 1986م.

53- وليد قصاب، التراث البلاغي للمعتزلة حتى نهاية القرن السادس هجري،الدوحة الكويت،1985م.

54- ابن وهب،البرهان في وجوه البيان،ت.حفني محمد شرف، مطبعة الرسالةعابدين، مصر ،د.ط.

ثانيا: الرسائل الجامعية

1- محمد الأخضر الصبيحي، المناهج اللغوية الحديثة أثرها في تدريس النصوص أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه دولة، إشراف: يمينه بن مالك، جامعة قسنطينة 2004م ،2005م.

ثالثا:المقالات المـــجلات

1- تمام حسان: المصطلح البلاغي القديم في ضوء البلاغة العربية الحديثة،(مقال)، مجلة فصول، مج7، عدد 3و4، أفريل، سبتمبر، 1987م.

2- راضـــية خفيـــف بـــوبكري:التداوليـــة و تحليـــل الخطـــاب، (مجلـــة) الوقـــف الأدبي،العدد399تموز2004م.

3- سعيد بنكراد: استراتيجيات التواصل من اللفظ إلى الإماءة، (مجلة) علامات، ع21 2004م.

4- طاهر لوصيف: التداولية اللسانية، اللغة و الأدب،(مجلة أكاديمية)،قسم اللغة العربية كلية الآداب و اللغات، جامعة الجزائر، العدد 17، 2006م.

5- محمد سويرتي: اللغة ودلالاتها، تقريب تداولي للمصطلح البلاغي، (مجلة) عالم الفكر المجلس الوطني للثقافةوالفنون، الكويت، السعودية، المجلد 28، العدد3، مارس 2000م.

رابعا:المعاجم.

1-أحمد مطلوب، معجم مصطلحات النقد العربي القديم، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ط1، 2001م.

خامسا: القواميس الأجنبية.

1- قاموس oxford (انجليزي، عربي) university presse، 1980م.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات:

مقدمة:..... أ-ج.

الفصل الأول: التداولية المفهوم النشأة والتطور.....4

المبحث الأول: تعريف التداولية.....6

1- المفهوم اللغوي:.....6

2- المفهوم الإصطلاحي:.....9

المبحث الثاني: روافد اللسانيات التداولية.....15

1- نشأة اللسانيات التداولية.....16

2- التداولية في الفكر الغربي.....18

3- التداولية في الفكر العربي.....24

المبحث الثالث: الوظائف التداولية.....30

1- الأفعال الكلامية.....30

2- الحجاج.....36

3- الكفاءة التداولية.....42

4- القصدية التداولية.....46

الفصل الثاني: ملامح التداولية في صحيفة بشر ابن المعتمر.....51

1- لمحة عن صحيفة بشر ابن المعتمر.....51

2- الأشكال التداولية في البلاغة العربية.....55

المبحث الأول: ملامح القصدية التداولية في صحيفة بشر 58

1- قصدية المخاطب في صحيفة بشر.....58

2- قصدية السياق في صحيفة بشر.....62

المبحث الثاني: ملامح الكفاءة التداولية في صحيفة بشر.....67
1- الكفاءة اللغوية في صحيفة بشر بن المعتمر.....67
2- الكفاءة المقامية في صحيفة بشر ابن لمعتمر.....75
خاتـمة:.....79
قائمة المصادر والمراجع: 82
فهرس الموضوعات:.....88
ملخص: 92

ملخص

ملـخص:

تعد هذه الدراسة التي قمنا بها الموسوعـة بــ: ملامح التداولية في صحيفة 'بشر ابن المعتمر' إحدى الدراسات النقدية التينستطيع من خلالها الوصول إلى الخصائص البلاغية التي وضعها 'بشر بن المعتمر' بالمقارنة مع أحكام وقواعد التداولية وبالتحديد ملامح القصدية والكفاءة.

حيث قمنا بوضع لمحة موجزة عن نشأة التداولية و أهم خصائصها.

كما رصد لنا البحث مفاهيم تتعلق بالتداولية في الفكرين الغربي و العربي.

وقمنا أيضا باستخراج مقاصد المخاطِب والسياق في صحيفة 'بشر بن المعتمر' مبينين الكفاءة اللغوية والمقامية ومدى تطابقها مع مقتضى الحال.

وخلصنا من البحث في نقطة مفادها أن البلاغة العربية القديمة هي التداولية.

Conclusion:

This study that we have made tagged with : pragmatic features in « BichrIbn al-Mu'tamir »'s leaf, is one of the critical studies through with we can get to the rhetorical characteristics set by « BichrIbn al-Mu'tamir » compared with the pragmatic provisions and rules specifically.

Where we put a breif overvieu of the pragmatic emergence and the most imprtant characteristics. As the research revealed to us a concept related to the pragmatic in the Western and Arab tought.

We also extracted intents of the offeree and the context « BichrIbn al-Mu'tamir »'leaf.

And we showed the linguistic and contextual competence and its conformity with the appropriate consideration.

We concluded from the research to a point that the ancient Arabic Rhetoric it's the pragmatic.